

جامعة الشهيد حمه لخضر - بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



الحياة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ما بين (1830 - 1900م)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الأستاذ المشرف:

د. رضوان شافو

إعداد الطالبتين:

- خديجة نعمي

- يمينة قيطوبي

لجنة المناقشة

مؤسسة الانتساب	الصفة	الأستاذ
جامعة حمه لخضر - الوادي	رئيس الجلسة	د. عبد الكامل عطية
جامعة حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا	د. رضوان شافو
جامعة حمه لخضر - الوادي	عضوا مناقشا	أ. عبد الحاكم بن عون

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2016-2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا

عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

البقرة الآية 32

شكر و عرفان

قال الله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم»

(سورة ابراهيم الآية 07)

صرف الهم نحو رب سبيل النجاح وسر الفلاح نحمدك اللهم أنت الفاعل المختار لكل مفعول من الكائنات والآثار شكرك اللهم على مزيد نعمك ومضاعف جودك وكرمك ونصلي ونسلم على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وأصحابه.

لقوله (ص): «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل المشرف شافو رضوان الذي أشرف على هذا العمل على سعة صدره ومجهوداته القيمة وصبره معنا وتوجيهاته السديدة بالرغم من حجم مسؤولياته وكثرة انشغالاته، راجيين من المولى عز وجل أن يكلله بالتوفيق وأن يكتب جهده في ميزان حسناته.

كما نتقدم بأسمى معاني الشكر والامتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة... إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم... إلى الذين أشعلوا شمعة في دروبنا ووقفوا على المنابر ليقدموا لنا من حصيلة علمهم ما ينير دربنا... إلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين تتلمذنا على يدهم... وأسهموا في تكويننا بما قدموه لنا من خدمات طيلة خمسة سنوات متتالية حتى انتهت بهذه الثمرة الطيبة التي بين أيدينا الآن.

إلى الذين أمدونا بالعون والنصح والإرشاد طيلة إعدادنا لهذا العمل، كما لم يبخلوا علينا بالعديد من المراجع، جعلها الله في ميزان حسناتهم ومن بينهم:

عثمان زقب_ طليبة بوراس_ محمد الحاكم بن عون_ عوادي محمد.

دمتم ذخرا لخدمة العلم والمعرفة.

كما نشكر الأستاذ الزبير بن بوردي الذي ساعدنا وغمرنا بالعديد من النصائح والإرشادات والتشجيعات المتواصلة، وإلى كل من أعاننا على إعداد هذا البحث من قريب أو بعيد. مع الاعتذار لمن أغفلنا فضله وخيره علينا سائلين المولى عز وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء.

قائمة المختصرات الواردة في البحث

أولاً/ باللغة العربية:

تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعريب	تع
تقديم	تق
جزء	ج
شركة الوطنية للنشر والتوزيع	ش.و.ن.ت
صفحة	ص
من صفحة إلى صفحة	ص ص
طبعة	ط
عدد	ع
مجلد	مج

ثانياً/ باللغة الأجنبية:

OP.cit:	Opere_citato(auvrage cite)•
P	Page

المقدمة

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ عام 1830 حلقة مكملة لأطوار الصراع الصليبي الإسلامي، الذي تعود جذوره إلى مئات السنين، وأحد أكثر أنواع الاستعمار همجية ووحشية في العالم، فمنذ تنفيذ فرنسا لعملية احتلالها للجزائر وتوقيعها مع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام التي أعلنت بموجبها عن تحكمها في جميع أمور البلاد، فبالرغم من توقيعها لتلك المعاهدة التي نصت على احترام كافة الممارسات الدينية للجزائريين على اختلاف طوائفهم واحترام الديانة المحمدية بالتحديد، إلا أن واقع الأمر لم يكن كذلك فعملت على محاربة الدين الإسلامي، إذ تعرضت المؤسسات والرموز الدينية من دور عبادة وأوقاف وحواضر علمية للتضييق وكذلك العلماء والفقهاء من خلال نفيهم وتشريدهم، وإطلاق العنان لحمات التنصير، ولأهمية الجانب الديني في حياة الجزائريين، اخترنا عنوان دراستنا الحياة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ما بين (1830م_1900م).

إشكالية الدراسة:

إن موضوع الحياة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830_1900) له جانب كبير من الأهمية، حيث يطرح إشكالية جوهرية تهدف إلى التعرف عن الأوضاع الدينية للجزائريين في الفترة الاستعمارية.

وفي هذا السياق نطرح الإشكال التالي:

ما هو أثر السياسة الفرنسية على الحياة الدينية للجزائريين في الفترة الاستعمارية ؟ وكيف كانت ردود فعل الجزائريين إتجاهها؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ينبغي علينا أن نجيب على التساؤلات الفرعية الآتية:

ما هي أهم الطوائف المشكلة للمنظومة الدينية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي ؟ وما هو موقف الإدارة الاستعمارية من الدين الإسلامي ؟ وما هي أهم الممارسات والشعائر الدينية التي مارسها الجزائريون في الفترة الاستعمارية ؟ وكيف كانت وضعية القضاء الإسلامي والتعليم الديني الخاص بالطوائف الموجودة ؟ وكيف كانت علاقة المسلمين بالطوائف الغير إسلامية ؟ وعلى ماذا اعتمدت فرنسا في سياستها التنصيرية في الجزائر ؟ وما هي ردود فعل الجزائريين إتجاهها ؟ وما هي ابرز المضايقات التي تعرضت لها النشاطات الدينية؟

دواعي اختيارنا للموضوع:

إن اختيارنا لموضوع الحياة الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية كموضوع لهذه الدراسة يعود لعدة أسباب:

رغبتنا الذاتية بإثراء معارفنا حول وضعية الحياة الدينية للجزائريين منذ بداية الاستعمار إلى نهاية القرن التاسع عشر، لأن هذه الفترة شهدت بداية تدخل السلطة الاستعمارية في الحياة الدينية للجزائريين، وأيضاً شهدت تحولات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وخاصة الدينية من جراء السياسة الاستعمارية التعسفية، وردود فعل الجزائريين العنيفة من خلال القيام بالعديد من الثورات والمقاومات التي شهدتها الجزائر.

أما السبب الموضوعي فيتمثل فيما يلي:

- _ إبراز أهمية الجانب الديني لدى الجزائريين، وموقف السلطة الفرنسية إتجاهه.
- _ إبراز دور المؤسسات الدينية والتعليم الديني في المحافظة على هوية المجتمع الجزائري.
- _ إبراز الجرائم الفرنسية في الجزائر والتي كانت هدفها القضاء على الدين الإسلامي في الجزائر.

_ إبراز معاناة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي الاستيطاني.

وتكمن أهداف الدراسة في:

_ السعي إلى إثراء المكتبة الجزائرية أكثر في مجال الكتابات المتخصصة حول الجانب الديني في الفترة الاستعمارية.

_ السعي إلى تسليط الضوء على الجوانب التي لم تتل حضاها من الدراسة.

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة الحياة الدينية للجزائريين في ظل السلطة الفرنسية خلال الفترة الممتدة ما بين (1830 إلى 1900م)، وتحديدنا لهذه الفترة بذات يعود لكونها شهدت على أعنف المقاومات الشعبية ضد الاستعمار الذي نقض جميع تعهداته اتجاه الجزائريين.

المناهج المعتمدة:

إن طبيعة الدراسة جعلتنا نتبع منهجين: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي التحليلي المنهج الوصفي: وذلك من خلال سرد بعض الأحداث التاريخية والمساعد على التفسير الموضوعي والدقيق للموضوع.

المنهج التاريخي التحليلي: وذلك بتقديم بعض ملاحظات والتحليلات والخروج باستنتاجات، متى أمكن ذلك.

نقد وتقييم الدراسات السابقة:

أما عن المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، ومنها ما هو منشور، وأبرزها "المرآة" لحمدان خوجة، تحقيق محمد العربي الزبيري، و"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في البلاد الجزائرية".

هذا بالإضافة إلى عدد هام من المراجع منها طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر "1700 - 1830 م" (من خلال سجلات المحاكم الشرعية) لي نجوى طوبال ولقد قدم لنا صورة واضحة عن حياة اليهود في الجزائر، وكتاب ليحي بوعزيز "موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب الحديث"، واعتمدنا على كتابات أبو القاسم سعد الله وبخصوص كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" لأنه كان بالنسبة لنا أرضية خصبة لتكملة المجهود العلمي وإيصاله إلى منتهاه.

بلإضافة إلى كتاب لأبو العيد دودو "الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان " 1830_1855م" أعطى لنا هذا المرجع صورة شاملة عن الشعائر الإسلامية للجزائريين، وكتاب "الأعياد والمناسبات اليهودية" لغازي السعدي بين فيه كاتبه أهم الأعياد والاحتفالات الدينية اليهودية.

أما فيما يخص الكتابات الفرنسية العلمية فإننا نجد مقال الذي أنجزه Kamel Kateb وعنوانه "Les separation scolaires dans l'algerie coloniale"، فأفادنا بمعلومات عن السياسة التصيرية والمنصرون، والتعليم الديني اليهودي وكتاب Abdelmadjd Belkherroub من خلال كتابه La naissance et la reconnaissance de la repueblque algérienne والذي كتب فيه حول السياسة الفرنسية فيما يخص القضاء الإسلامي.

أضف إلى ذلك أننا قمنا بمسح معرفي حول ما قدم من مذكرات ورسائل جامعية حول هذا الموضوع، منها مذكرة ماجستير بعنوان "الطائفة اليهودية في الجزائر 1830_1900م" مقدمة من طرف الدكتور عبد القادر كركار، ومذكرة التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي "1830_1870م" مقدمة من طرف محمد بن شوش.

خطة الدراسة:

للإجابة على الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية تطلب منا وضع خطة تتضمن، مقدمة ومدخل، وتطرقنا فيه إلى الأوضاع الدينية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي، وثلاثة فصول رئيسية جاء الأول بعنوان الطوائف والمؤسسات الدينية، وقد قسمناه إلى مبحثين، الأول تناولنا فيه النشأة و تواجد الطوائف الدينية، والثاني تناولنا فيه المؤسسات الدينية و تحدثنا على المؤسسات الوقفية والمساجد والكتاتيب والزوايا والطرق الصوفية.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان مظاهر الحياة الدينية، وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، الأول تحدثنا فيه عن العبادات والشعائر الدينية للطوائف الثلاثة، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى القضاء الإسلامي والتعليم الديني، والثالث تناولنا فيه العلاقة بين المسلمين والطوائف الغير الإسلامية.

أما الفصل الثالث فخصصناه للسياسة الاستعمارية وانعكاساتها على الحياة الدينية، والذي حددنا فيه ثلاثة مباحث، الأول تحدثنا فيه عن أساليب السياسة التنصيرية، والثاني تناولنا فيه ردود الأفعال الجزائرية ضد التنصير وكذلك موقفهم اتجاه المنتصرين الجزائريين، وجاء المبحث الثالث بعنوان المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية وذلك من خلال السياسة الاستعمارية اتجاه المؤسسات الدينية و محاربة رجال الدين والعلماء.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن استنتاجات مما تناولنا فيها من آراء وأحكام داخل مضمون البحث.

ولا يفوتنا أن نشير إلى الصعوبات التي إعترضتنا في هذا البحث والتي تتمثل في صعوبة الحصول على الوثائق الأرشيفية بالإضافة إلى قلة المعلومات المتعلقة ببعض الجزئيات وخصوصا المتعلقة بالطائفة المسيحية واتساع مجال الدراسة الشامل لكل التراب الجزائري. زيادة على ذلك صعوبة ترجمة المادة الأجنبية إلى العربية مما اضطرنا الاستعانة ببعض المتخصصين.

بعد كل هذا نتقدم بالشكر لأستاذنا المشرف الدكتور رضوان شافو، على رعايته لهذا البحث ولولاه لما استطعنا انجازه بهذه الكيفية، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر كل من أمدنا بوثيقة أو كتاب.

و إن وفقنا فذلك فضل من الله، وإن وجد خلل فنسألها الغفران، وهو ولي ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المدخل

الأوضاع الدينية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي

شهدت الجزائر في ظل الحكم العثماني الذي امتد على مدار ثلاثة قرون، تحولات عميقة وكبيرة في شتى المجالات سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو دينية، أثرت على المجتمع الجزائري بكل أطيافه وعلى الخصوص التحولات الدينية. فباستبار الجزائر إيالة من إيالات الدولة العثمانية، فمن الطبيعي أن تدين بالولاء لخلافتها الممثلة في شخص السلطان، وكان غالبية الشعب على المذهب المالكي، أما الأتراك والكراغلة وبعض الحضر فكانوا على المذهب الحنفي، ويوجد بجانبهم أقلية يهودية لا تتعدى 1% من مجموع السكان.¹

اهتم الحكام العثمانيون في فترة حكمهم في الجزائر بإنشاء عدة مؤسسات دينية، وعلى الخصوص مؤسسات الأوقاف بهدف التكفل والاعتناء بالفقراء والمساكين الذين يتولى الوقف رعايتهم وتحسين أوضاعهم.²

وقد عرفت مؤسسة الأوقاف انتشارا واسعا في الجزائر وزادت من مداخيلها في الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر، وبالضبط في أوساط القرن الثاني عشر للهجرة الموافق للقرن 18م، ويعود سبب انتشارها وتوسعها إلى أمرين رئيسيين هما:

الأول: يتمثل في حضور الوازع الديني لدى فئة ميسوري الحال ورغبتهم الكبيرة والشديدة في التقرب من الله بوقف أملاكهم أو جزء منها في سبيل الله ومساعدة الفقراء والمحتاجين.³

والثاني فيتمثل في محاولة الإفلات من الإجراءات التعسفية التي كانت تلجأ إليها السلطة العثمانية ضد الأشخاص الذين لم يقوموا بوقف جزء من ممتلكاتهم من خلال مصادرة أراضيهم وممتلكاتهم أو الرفع من قيمة الضرائب المفروضة عليهم، وهذه السياسة المنتهجة من العثمانيين في أواخر عهدهم في الجزائر كانت تهدف لسد العجز المالي الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية.⁴

¹ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار ربحانه، ط1، 2002، ص109.

² حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تق وتعت وتحت: محمد العربي الزبير، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص269.

³ الأمير بوغدادة: المؤسسات في الجزائر في أواخر العهد العثماني "القضاء نموذجاً"، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008، ص48.

⁴ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1930م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985م، ص141.

وهذا ما يبرر الصرامة العثمانية الكبيرة تجاه الوقف والإجراءات الصارمة تجاه كل متصل من القيام بهاته الخطوة، فالمداخل التي كانت تحصل عليها الدولة العثمانية من الوقف كانت كبيرة جدا، مما دفع المسؤولين في الإيالة إلى تنظيمها تنظيما "محكما" يهدف إلى المحافظة عليها.¹

وكانت مداخيل الأوقاف تقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم ينفق على القائمين على إدارتها ورعايتها، وبعض المحتاجين، وقسم ينفق على بعض المساجد.²

وأما القسم الثالث يبعث به إلى الحرمين الشريفين لينفق على الفقراء والمساكين، أو ليصرف على الخدمات التي يحتاج إليها كل من المسجدين "المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف"، بالإضافة إلى الإنفاق على العلم والمعرفة وغيرها.³

وسبب هذا الانتشار الواسع والزيادة في المداخيل لهذه المؤسسة أدى بالمسؤولين في الإيالة إلى تنظيمها تنظيما محكما بهدف المحافظة عليه. فلقد انبثقت عن هذه المؤسسة عدة هيئات إسلامية، منها مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين "مكة المكرمة والمدينة المنورة"، وتعد من أهم المؤسسات من حيث عدد أوقافها، والمداخيل التي توفرها، ومؤسسة أوقاف أهل الأندلس، وهي تتجاوز 101 وقفيا لفائدة الأسر المنحدرة من أصل أندلسي، ومؤسسة سبل الخيرات وهي التي تضم جميع مساجد الحنفية وعددها 14 مسجدا، ومؤسسة أوقاف الأشراف والتي تحتوي على العديد من الأوقاف وتضم جماعة الأشراف للمدينة نحو 300 أسرة وطريقة، ومؤسسة أوقاف الجامع الأعظم، ومؤسسة أوقاف الأولياء والمرابطين وغيرها.⁴

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4، 1984م، ص25.

² المرجع نفسه، ص25.

³ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص ص: 145_146.

⁴ عبد الجليل التميمي: الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، تونس، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات، 1990م، ص ص: 176_178.

وطريقة تسيير تلك المؤسسات الخيرية كثيرة، حيث أنها لا تحظى إلا بتأييد الرجال الطيبين والمشرعين في جميع البلدان، وكان هدفها الإنساني يرمي إلى التخفيف من الآلام والمساهمة في إسعاد المجتمع.¹

وكانت مؤسسة الأوقاف تتولى أيضا دفن الفقراء والمساكين، وتوزيع الصدقات، وكان اليهود يعملون في الأوقاف عن طريق الكراء ونحوه، وبذلك تتضح أهمية الوقف في الجزائر العثمانية من خلال خدمة الدين والتعليم، كما كانت تعمل على التضامن الاجتماعي.² وفيما يتعلق بوضعية المساجد في الجزائر في أواخر العهد العثماني فقد أدت هي الأخرى دورا هاما في الحياة الدينية في الجزائر خلال هذه الفترة، فكانت تعتبر من المعالم الدينية المعبرة عن حياة الجزائريين الدينية في ذلك الوقت،³ إضافة إلى أدوارها الهامة في المجتمع الجزائري حيث ارتبطت الثقافة في هذه الفترة بهذا المرفق الهام، فكانت المساجد من المظاهر والمنشآت التي لا تخلو أي قرية أو مدينة جزائرية منها، ومن أبرز هاته المدن الجزائر التي برزت فيها بشكل كبير معالم الحضارة والحياة الدينية الإسلامية، ومن الأدوار الأخرى التي أدتها المساجد في هذه الفترة أنها كانت مكانا تقام فيه الصلوات إضافة إلى إلقاء حلقات الدروس اليومية ومحطات لفنون العلوم التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، إضافة لكونها أماكن للعبادة.⁴

ومن أشهر المساجد التي انتشرت في ذلك الوقت:

_ الجامع الكبير المتواجد في الجزائر حيث تتمركز وظيفته حول أداء الوظائف الدينية وخدمة المسلمين ويتداول عليه مجموعة من الأئمة والمفتيين والمدرسين باختلاف درجاتهم العلمية،⁵ علما أن هذا المسجد قد شيد في أول رجب 490 هـ / 1097م من طرف يوسف بن تاشفين

¹ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص274.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500م)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1998، ص:244_245.

³ نوال سقاي، شريفة يوسف عشيرة: الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة التعليم الأساسي في التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية ببوزريعة، الجزائر، 2008م، ص29.

⁴ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص:245_246.

⁵ سيدي أحمد باياني: الجزائر، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1974م، ص53.

ويعتبر هذا الجامع من أقدم وأهم مباني مدينة الجزائر وأكثرها شهرة¹، ومسجد ميزو مورطو الكبير² الذي بناه الحاج باشا حسن سنة 1685م.³ أما عن مساجد مدينة قسنطينة فقد أولى لها صالح باي عناية خاصة من ناحية ترميمها وتشبيدها، فحسب السجل الذي أمر به نجد أن في مدينة قسنطينة 75 مسجدا وجامعا، وفي بعض الإحصائيات المتأخرة التي تكلمت عن مساجد مدينة قسنطينة قبل عملية الاحتلال فقد أشارت إلى وجود 35 جامع.⁴

أما مدينة عنابة فكانت تشتمل هي الأخرى على 37 مسجدا، أشهرها مسجد سيدي أبي مروان. وفي سنة 1206م شيد فيها صالح باي جامعا أصبح يعرف بالجامع الجديد، وأما بجاية فقد اشتهرت بمساجدها القديمة والحديثة ومن أحدثها في العهد العثماني الجامع الكبير الذي تم بناؤه بأمر من مصطفى باشا⁵ سنة 1212م. وبتلمسان تشير المصادر إلى أن هذه المدينة كان كان بها في أواخر العهد العثماني 50 مسجدا منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع ابن زكري وجامع أولاد الإمام وجامع المشور.⁶

ورغم عدم خلو أي قرية من المساجد كان الخراب مصير بعض المساجد التي بنيت بشكل سيئ منذ بادئ الأمر، أما بعض المساجد الأخرى فقد كانت محرومة من أموال الأوقاف لإعادة تجديدها وترميمها.⁷

والمهم أن هذه المساجد والجوامع والمصليات كانت تحظى بالعناية والاهتمام من طرف كل أفراد مجتمع مدينة الجزائر، بما في ذلك الحكام العثمانيين، وقد تجسد ذلك في الحرص

¹ عبد القادر نور الدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، قسنطينة، مطبعة البعث، ط2، 1965، ص152.

² أنظر الملحق رقم (1): (صورة لمسجد ميزو مورطوا متواجد عند مدخل باب عزون)، ص114.

³ سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، الجزائر، دار المعرفة، 2010م، ص40.

⁴ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830.1500م)، المرجع السابق، ج1، ص248.

⁵ مصطفى باشا: 1798_1805 ولد في الأناضول بآسيا الصغرى ثم جاء إلى الجزائر وانضم إلى صفوف الإنكشارية ثم بعد ذلك تقلد منصب الخزناسي وبعدها ارتقى إلى منصب باشا الجزائر عرف عنه أنه رجلا ثريا وشجاعا وكان مغرما بالبناء فشيّد عدة دور وقصور وفي سنة 1805 قتل من طرف الجند الأتراك بسبب ميله لليهود، أنظر: عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر، دار المعرفة، ج2، ص130.

⁶ نوال سقاي: المرجع السابق، ص29.

⁷ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص250.

على المساهمة في بناءها والمحافظة عليها من خلال تحبيس الحبوس، وهذا دليل على مكانة الدين الإسلامي في حياتهم والتزامهم بأداء الفريضة المتوجبة على أحسن صورة.

أما بخصوص الزوايا والرباطات فقد كانت الزوايا تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين إلى انتزاع زلال العلم والمعرفة، وقد كانت مقسمة إلى قسمين اثنين، كل قسم منهما يقوم بدوره على أحسن وجه:

القسم الأول: يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، ويضم غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن

تعلموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم على الأقل.

القسم الثاني: فإنه يقوم بتدريس الفقه، وبعض المبادئ من علم الفلك والعقائد وقواعد

النحو والصرف، وفنون اللغة والنطق، وهذا القسم لا يضم _غالبا_ المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف. ¹ وما يميز العهد العثماني بالجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها، ففي المدن والأرياف والجبال عاش معظم المتصوفة، يمارسون عقائدهم ويلقنون أتباعهم "الأذكار والأوراد" مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا فاخترتوا العزلة والعبادة، فاشتهر أحدهم بأنه قام بتأسيس مركز يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، وكان الناس يتبرعون لهذا المركز فيكبر ويتضاعف قاصديه ومريده، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط، ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل (سيدي فلان) وتزداد قدسية الزاوية بين أهل الناحية وبين نواحي أخرى بعيدة.²

ومن أشهر الزوايا في الجزائر ما يلي :

_ زاوية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي: كانت تحتوي على مسجد صغير بجانبه قبة مئمنة

الزوايا، ومحرابه مزين بأجور الخزف المستورد من آسيا الصغرى، ساربتان صغيرتان من رخام، وبه قبر الشيخ العلامة، كما أن حجرة الضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي تحوي عدة قبور،

¹ محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، شركة النشر والتوزيع، 1981م، ص95.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830.1500م)، المرجع السابق، ج1، ص ص: 262_263.

ودفنت فيه شخصيات مثل: قبر الحاج أحمد باي¹ قسنطينة، وقبر خيضر باشا.² وشيّدت هذه الزاوية حوالي سنة 1696م.

زاوية الجامع الكبير: تقع بنهج باب الجزيرة بالقرب من الجامع الكبير مشتملة على مسجد بدون منارة، ومدرسة للصغار، وتضم أيضا طابقيين يضمنان عددا من البيوت مخصصة للعلماء من عابري السبيل، أو الفقراء الذين لا مأوى لهم، وقد وقف على بناء هذه الزاوية المفتي المالكي الشيخ سعيد بن الحاج إبراهيم،³ الذي بقي بيده دخل حيوس الجامع الكبير بعد أداء جميع المصاريف المتعلقة بهذا الأخير، وقد تم بناؤه سنة 1039هـ/1630م.⁴

أما عن الرباطات: هي مراكز تشبه إلى حد بعيد الزوايا في وظائفها الاجتماعية والثقافية، إلا أن مكان تواجدها يكون قريبا من مواقع الأعداء (الحدود)، ولا تقتصر الرباطات على مهمة الدفاع عن المواطن والحفاظ على تراثه الإسلامي بل تقوم أيضا بوظيفة التعليم.⁵ وكانت الرباطات منتشرة على السواحل التي أقام بها الأعداء، وكان الطلبة يمثلون جنود وعلماء في نفس الوقت، فالرباطات تعد قلعا من جهة، وزوايا مدارس متنقلة من جهة أخرى، منها زاوية الشيخ محمد بن علي الجاجي، والتي اشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطا.⁶ إلى جانب هذه المساجد والزوايا كانت توجد في مدينة الجزائر خلال القرن 10هـ/ 16م مدارس للأطفال تعرف بالكتاتيب تؤدي نفس المهام، وكانت هذه المدارس مخصصة لإلقاء الدروس بها، وعرفت طريقها للانتشار في المناطق الحضرية.⁷

¹ الحاج أحمد باي: هو الحاج احمد بن محمد الشريف بن الباي احمد القلعي، من مواليد 1786م، ينتمي لأسرة كرغولية من أب تركي، وأم جزائرية هي رقية ابنة الحاج ابن قانة، تقلد عدة وظائف سياسية، حيث عين نائبا لباي قسنطينة سنة 1818م، ثم أصبح سنة 1826م باي لإقليم قسنطينة، قاد مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الشرق الجزائري سنة 1837م، حيث فشلت مقاومته، وانسحب نحو الجنوب إلى غاية استسلامه سنة 1848م، توفي سنة 1850م. ينظر: سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830_1900م**، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1، ج1، 1992، ص139.

² سيدي أحمد باياني: المرجع السابق، ص62.

³ عبد القادر نور الدين: المرجع السابق، صص: 166_167.

⁴ المرجع نفسه، ص165.

⁵ سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1500.1830م)**، المرجع السابق، ج1، ص237.

⁶ المرجع نفسه، ص237.

⁷ عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص139.

وتكمن مهمة الكتاتيب في استظهار كتاب الله العزيز، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية، وتحفيظ القرآن الكريم، وتوجد هذه الكتاتيب غالباً في أضرحة الأولياء و الدكاكين، والمساجد التي لا تقام فيها إلا الصلوات الخمس.¹

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطة من حكام وموظفين كانت تساهم في فتح الكتاتيب والمدارس في مدينة الجزائر، وتزويدها بالكتب، بحيث كانوا يساهمون في تموين هذه المشاريع العلمية، ولقد كان المجتمع كله مسؤولاً على القيام بتعليم أطفاله. ويوجد بالجزائر طوائف أخرى منها طائفة اليهود والتي يعود وجودها إلى التاريخ القديم سواء بالهجرات، أو بانتشار الديانة اليهودية في بلاد المغرب ونفذت إلى داخل القبائل البربرية دون صعوبة، واندمجوا معهم وأصبحوا جزءاً من نسيجها البشري، فشكّلوا قبائل شهيرة كقبيلة جراوة وانتشرت في منطقة جبال الأوراس.²

وعموماً تشير بعض المصادر إلى أن اليهود وفي ظل حكم الأمراء المسلمين كان وضعهم على أحسن حال مما كانوا عليه في أوروبا، فلم يكونوا ضحايا إلا في استثناءات نادرة، فلم يخضعوا للاضطهاد ولا إلى معاملة خاصة من طرف الحكام و السكان، فسمح لهم التنقل بكل أمان دون خوف من أفعال عنف أو قمع.³

فعموماً كانوا يعيشون كالمسلمين في القرن 16م ويتمتعون بالصدقة والحميمية من الجموع واحترام الحكام مستقرين في حاراتهم أو مختلطين بالمسلمين، فكانوا يحتفلون بذكرى أحداث مثلت مجد الجزائر يحيونها بالصوم.⁴

وقد كان لليهود التأثير الاقتصادي الكبير، ولعل ما يكشف عن توغل اليهود في شؤون الجزائر هو رقابتهم لأنواع العملة الداخلة إلى خزينة الدولة، فقد كانوا في العهد العثماني هم الذين يزينونها ويفحصونها ويحكمون بزيفها أو أصالتها، وبذلك كانوا يحتكرون هذه المهمة

¹ محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص272.

² بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي (22هـ . 462هـ)، عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001م، ص60.

³ عبد القادر كركار: الطائفة اليهودية في الجزائر (1830-1900م) التجنيس وردود الفعل، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2008، ص ص:24_25.

⁴ المرجع نفسه، ص25.

ويتمتعون بثقة الحكام ليس في أمانتهم فحسب، حيث كانوا محل مراقبة وإنما في مهارتهم لأنهم برعوا في هذا الميدان، وكذلك لأنهم أقلية لا يهددون بثورة أو طموح في الحكم.¹

ولقد عمل اليهود على احتكار التجارة، ومنهم الصرافون، والمكلفون سك النقود، وقد جمع بعضهم ثروة طائلة،² إلى جانب الأساليب التي اشتهروا بها للحصول على الأموال على حساب الدولة الجزائرية وسكانها هي التي جرت عليهم غضب الأهالي وسخطهم، وقد تحول هذا السخط في بعض الأحيان إلى ثورات انتقامية، أخطرها ثورة 1805م لما خلفته من ضحايا وما نتج عنها من تدمير وهجرة إلى الخارج (100 عائلة إلى تونس، و200 عائلة إلى إيطاليا).³

أما عن الأوضاع الثقافية والدينية، فقد كان اليهود في العهد العثماني يتمتعون بنظامهم الديني والاجتماعي، وكانوا يتحدثون العربية الدارجة، ولهم مدارسهم الدينية التي تعلم العبرية، وكانت لهم محاكمهم وأربابهم ومواسمهم الدينية المعترف بها كأهل كتاب، كما كانوا أحراراً في العمل وممارسة أي وظيفة شرعية في الدولة.

أما عن علاقاتهم بالأهالي فرغم أن اليهود كانوا طائفة مختلفة عن مسلمين، إلا أن ذلك لم يوقع صدام فيما بينهم إلا بسبب أفعالهم في بعض الحالات.⁴

وقد تطورت أوضاعهم في البلاد حتى أن مدينتي الجزائر وتلمسان أصبحتا تبدوان وكأنهما العاصمتين الثقافيتين لليهود شمال إفريقيا، ونظراً لدورهم فقد كانوا محل اهتمام من الحكام، فوجد صالح باي قد خصص لليهود المنطقة المحصورة بين القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة لاستقرارهم بها وممارسة نشاطهم.⁵

وما يثير الانتباه في فترة منتصف القرن التاسع عشر 1829م: حول ما ذكرته بعض المراجع لحالات اعتناق اليهود للإسلام كجماعة المجاهرية التي ذكرها الحاج ابن الدين الأغواطي في رحلته في عام 1829م فيقول: "وقد كانوا في القدم يهوداً واعتنقوا الإسلام فراراً من الموت الذي هددهم به السكان".⁶

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج6، 1998، ص393.

² بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، الجزائر، دار المعرفة، ج1، 2006، ص31.

³ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص46.

⁴ عبد القادر كركار: المرجع السابق، ص37.

⁵ المرجع نفسه، ص37.

⁶ سعد الله: أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، 1986، ص264.

كان لليهود دور في تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية بسبب قضية الديون في نهاية القرن 19م، وتدخل بكري بوجناح في مسألة الديون بين الجزائر وفرنسا في وقت ضاع فيه المال العام للدولة الجزائرية وتطورت القضية وتأزمت العلاقات فيما بينهما، ووصلت في النهاية إلى احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م.¹

وعموما فاليهود مهما كانت أصولهم وطوائفهم فقد وجدوا في البلاد الإسلامية الأمان من الاضطهاد أوروبا، غير أن سلوكياتهم خاصة الوافدين الجدد منهم جرت عليهم غضب السكان، حيث أن المنفعة كانت دائما أهم عامل يحكم توجهاتهم وعلاقاتهم بالسلطة أولا ثم بقية السكان. أما عن طائفة المسيحيين فعرفوا بأنهم دخلاء عناصر أجنبية عن المجتمع الجزائري الإسلامي، وهم فئة تضم التجار الأجانب والقناصل ورجال البعثات الدينية والتبشيرية² وكذا جماعات الأسر المسيحيين وهم الأغلبية في المجتمع الجزائري وفدوا إليه لأغراض سياسية ودينية،³ ورغم العدد القليل من المسيحيين إلا أنه كانت توجد كنائس⁴ بالجزائر وكانوا يتحاكمون يتحاكمون في القنصليات المسيحية الموجودة في البلاد.⁵

وقد عرف الأوروبيون الوافدون على الجزائر، تزايدا ملحوظا ابتداء من أواخر القرن 10هـ/ 16م نتيجة الازدهار الاقتصادي الذي شهدته المدن، وكذلك بسبب اندلاع الحروب الدينية، وانتشار الأوبئة والمجاعات في أوروبا في تلك الفترة، قد دفع الكثير من الأوروبيين إلى مغادرة بلدانهم. وكان الفرنسيون يمثلون النسبة الكبيرة من الوافدين.⁶

وكان الدخلاء منذ وصولهم إلى الجزائر تحت مسؤولية قناصلهم الذين كانوا يشرفون على نشاطهم وتسوية وضعيتهم، وكان القناصل بدورهم يحضون باستقبال الداوي⁷ مرة في كل شهر على الأقل يعرضون عليه خلالها انشغالاتهم وشكاوي رعاياهم، وكانوا يتمتعون بالحرية التي

¹ عبد القادر كركار: المرجع السابق، ص39.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 150.

³ سعيدوني: النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص 45.

⁴ أنظر الملحق رقم(2): (يمثل صورة لي كنيسة الأبيار قديما وكنيسة سانت "القديس" أوغسطين بعنابة)، ص115.

⁵ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 109.

⁶ أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519 - 1830م، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006، ص ص: 141-143.

⁷ الداوي: وهو رئيس السلطة التنفيذية والقائد العام للجيش ويجمع في نفس الوقت لقب الباشا الشرقي ومنصب الداوي العملي.

أنظر: عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، المرجع السابق، ص157.

كان يتمتع بها التجار الأوربيون، وكذلك كان بإمكانهم أن يكون لديهم قساوسة وأماكن للعبادة، وكانوا يجتمعون في إحدى قاعات العبادة الموجودة بالقنصلية الفرنسية لأداء شعائرهم الدينية، وتعد تلك المناسبة فرصة أسبوعية لمناقشة قضاياهم وانشغالات رعاياهم المادية والروحية، وقد خصصت للجالية الأوربية أماكن خاصة لدفن موتاهم.¹

أما عن الأسرى من الأوربيين، فكانت تتشكل من الأسرى المسيحيين الذين يمثلون الأغلبية وعوملوا معاملة حسنة من الحكام العثمانيين، واشتغلوا عدة وظائف فبعضهم تقلد وظائف في الدولة بعد خروجهم من السجن، رغم أنهم لازالوا على دينهم، وكان بإمكانهم البقاء في الجزائر بعد اعتناقهم الإسلام، أو العودة إلى بلدانهم بمجرد دفع فديتهم.²

¹ أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص143.

² عمارعمورة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، المرجع السابق، ص233.

الفصل الأول: الطوائف والمؤسسات

الدينية

المبحث الأول : الطوائف الدينية: النشأة والتواجد .

المبحث الثاني :المؤسسات الدينية .

يتناول هذا الفصل أهم الطوائف والمؤسسات الدينية الموجودة في الجزائر من الفترة الممتدة ما بين (1830_1900)، وقد ركز المبحث الأول على التعريف بالطوائف وبداية تشكلها في الجزائر وأولها الطائفة اليهودية، ثم الطائفة المسيحية وأهم الصراعات التي خاضتها ضد السلطة الرومانية ووضعيتهم عقب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وإلى غاية بداية الفترة الاستعمارية، أما عن الطائفة المسلمة تناولنا فيها وجودها منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وأهم الدويلات الإسلامية التي تعاقبت على حكم الجزائر.

والمبحث الثاني تناولنا فيه أهم المؤسسات الدينية المنتشرة في الجزائر بعد الاحتلال، وركزنا على المؤسسة الوقفية والمساجد و الكتاتيب القرآنية والزوايا والطرق الصوفية، وتطرقنا إلى تعريفها و أمثلة على أهم مراكزها، ثم انتقلنا إلى أدوارها، والتي أدت دورا بارزا في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية وبعث الإشعاع العلمي والثقافي في هاته الفترة.

المبحث الأول: الطوائف الدينية في الجزائر (النشأة والتواجد):
أولا/الطائفة اليهودية:

لم يكن وجود الطائفة اليهودية في الجزائر وليد الظرف الاستعماري بل يمتد في عمق التاريخ الجزائري، ويعود إلى فترات تاريخية جد بعيدة، فلقد تكونت هذه الطائفة بعد تكاثف العديد من الهجرات التي كانت نحو المغرب الأوسط، فاختلقت أصول اليهود الجزائريين بفعل اختلاف المناطق التي أتوا منها، فهناك اليهود الأهالي الذين أتوا نتيجة لهجرات قديمة جدا توطنوا بالجزائر وتمسكوا بعقيدتهم رغم الفتح الإسلامي لبلاد المغرب،¹ وهناك فئة اليهود الأندلسيين الذين فروا من الأندلس بسبب الاضطهاد الديني الذي تعرضوا له من قبل حكام الأندلس، ويوجد فئة اليهود الذين خاضوا مغامرة الهجرة من مختلف المدن الأوروبية نحو الجزائر بحثا عن تكوين الثروة والنفوذ الاقتصادي والتجاري،² وهم اليهود الليفوريون،³ وهذا ما

¹ يوسف مناصريه: النشاط الصهيوني في الجزائر بين (1897_1962م)، الجزائر، دار البصائر، ط1، 2009، ص89.

² عبد القادر كركار: المرجع السابق، ص 4.

³ الليفوريين: وهم اليهود القادمين من مدينة ليفورنو الواقعة بإقليم توسكانا بإيطاليا. ينظر: أمينة عباسي: السياسة الفرنسية تجاه يهود الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قطب شتمة محمد خيضر، بسكرة، 2014، ص18.

يجعلهم يختلفون مع أبناء طائفتهم الآخرين من ناحية أسباب ودواعي هجرتهم من بلدانهم نحو الجزائر.¹

1/ اليهود العبرانيون أو الفينيقيون:

تعود أصول أقدم فئة يهودية في الجزائر وهم اليهود المحليين أو اليهود الأهالي إلى فترات وأزمنة قديمة، ومن المرجح أن هؤلاء قد بلغوا شمال إفريقيا برا عن طريق مصر قادمين من هجرة فلسطينية بعد غزو المصريين للأراضي المقدسة عام 950 ق م بعد نهب مدينة أورشليم² وأخذ اليهود الأسرى إلى منطقة وادي النيل، ومن ثم كان بإمكانهم التنقل إلى شمال إفريقيا وخلال غزو بطليموس الأول سوتر عام 301 ق م، نقل 100 ألف يهودي إلى مصر ومن هناك فروا إلى البلدان المجاورة.³

أما عن وضع هذه الفئة في عهد الدولة الإسلامية بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، فقد أكدت الكتابات التاريخية على أن اليهود في هذه الفترة نعموا بالحرية التي حرّموا منها في عهد السلطات والدول التي حكمت المنطقة سابقا، فقد خضعوا لما ينص عليه،⁴ الشرع الإسلامي من خلال الجزية وهي مقدار بسيط جدا من المال، ألزم اليهود بدفعه⁵ مقابل التزام الحكام المسلمين بحمايتهم وحماية ممتلكاتهم وأموالهم، وعلى مدار السنوات التي تلت وجود هذه الدولة كان اليهود يعيشون في حرية تامة، و يشهد على الهجرات اليهودية القديمة نحو بلاد المغرب العديد من الكتابات اليهودية.⁶

¹ نجوى بن طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700 - 1830 (من خلال سجلات المحاكم الشرعية)، دار الشروق، 2008، ص 45.

² أورشليم: هو الاسم العبري لمدينة القدس الفلسطينية التي تعتبر أكبر مدن فلسطين من الناحية الجغرافية والسكانية، تحتوي على أهمية دينية واقتصادية كبيرة، تعرف أيضا باسم بيت المقدس. يُنظر: موقع الأنا تكلا هيمنوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية - مصر / URL: <http://St-Takla.org> يوم الثلاثاء 14 / 04 / 2017 على الساعة 10:00.

³ نجوى بن طوبال: المرجع السابق، ص 47.

⁴ المرجع نفسه، ص 47.

⁵ أحمد سميح حسن إسماعيل: الاستيطان اليهودي في الجزائر (1830_1919)، الجزائر، دار الكتاب العربي، ج 1، 2014، ص 38.

⁶ كمال بن صحراوي: الدور الدبلوماسية لليهود في العهد العثماني، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2009، ص 20-23.

2/اليهود الأندلسيون:

هاجرت العديد من المجموعات اليهودية الأندلسية من الأندلس خلال القرن 14م، فتذكر العديد من الكتابات اليهودية أن مجموعة كبيرة من اليهود هاجروا سنة 1391م من جزر البليار بمدينة مايورقا بعد قيام الملك الفونسو الاراغوني بطردهم،¹ على خلفية قيام مجموعة من البحارة والحرفيين والفلاحين والبرجوازيين والفرسان بمجموعة من الثورات والأعمال الإجرامية بين 6 أوت إلى 13 من نفس الشهر، في كل من مدينتي كاستيون وأراغون ضد الأحياء اليهودية، و قد هاجرت مجموعات يهودية باتجاه الجزائر قادمين من نفس المدينة بعد احتلال جاك الأراغوني المدينة واضطهاده لليهود في الجزيرة، واستمرت الهجرات نحو المغرب الأوسط كما أشارت الكتابات مثل هجرة عام 1342م من اسبانيا، ومن الأراضي المنخفضة عام 1356م ومن فرنسا عام 1403م، ومن إنجلترا 1422، واستمرت هجرات اليهود نحو المغرب الأوسط وهذه المرة بعد سقوط إمارة غرناطة آخر إمارات الأندلس عام 1492، فقد كانت الجزائر نقطة استقرار للعديد من اليهود الفارين من الاضطهاد الذي تعرضت له الطوائف غير المسيحية.²

3/اليهود الليفورنيون:

شهد القرن 18م، توافد فئات يهودية جديدة إلى الجزائر، وهي فئة اليهود الليفورنيين أو يهود ليفورن، والتي تختلف عن أبناء طائفتها الآخرين في كون أسباب هجرتها نحو الجزائر اقتصادية بحتة، وكون مغامرة الهجرة خاضوها لأسباب اقتصادية تتعلق بالثروة والنفوذ الاقتصادي، ما أدى بهم إلى القدوم إلى الجزائر.³

فتمتعت هذه الطائفة من اليهود بخلاف اليهود الآخرين، بمجموعة من الامتيازات كالتي حظي بها الفرنسيين خصوصا والأوروبيين بشكل عام لدى السلطة العثمانية،⁴ وقد أسس يهود ليفورن نواة الشبكة التجارية اليهودية التي احتكرت التجارة في البلاد، ومن أشهر التجار اليهوديين الليفورنيين نطالي، وأصبح اليهود في هذه الفترة وسطاء هامين في التجارة بين

¹ عيسى شنوف: يهود الجزائر "2000 سنة من الوجود"، الجزائر، دار المعرفة، ص 27 .

² شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عياش سليمان، الجزائر، دار الأمة، 2013، ص 23.

³ نبيلة آيت سعيد: التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص 17.

⁴ نجوى بن طوبال: المرجع السابق، ص 29 .

الجزائر وأوروبا بل هم المتحكمين الرئيسيين في العملية التجارية الأوروبية الجزائرية وخاصة بين فرنسا والجزائر، ومن أشهر الأسر التي توطنت بالجزائر قادمة من ليفورن أسرة بوشعرا،¹ وأسرة بكري (Bacri)²، وأسرة بوجناح (Bouchnac).³ في العهد العثماني عاش اليهود بمختلف أصولهم بصفتهم أهل ذمة،⁴ وفقا لما نص عليه الشرع الإسلامي، فمارسوا شعائرهم الدينية بحرية تامة وحافظوا على خصوصيتهم الاجتماعية وأيضا مارسوا نشاطاتهم الاقتصادية بحرية كفلها لهم الحكام العثمانيين الذين ميزوهم بمكانة خاصة في المجال الاقتصادي،⁵ فقد كانت تبعيتهم للحكم العثماني تبعية هامشية، لكن كل هذا لم يشفع لدى الطائفة اليهودية والتي كان موقفها خاذلا، حيث أيدت وساندت الاحتلال والمشروع الاستعماري الفرنسي.⁶

ـ موقف الطائفة اليهودية من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

أجمعت جل الكتابات التاريخية على كون الطائفة اليهودية في الجزائر وغداة الاحتلال الفرنسي، بأنها أظهرت الدعم الكامل لفرنسا في سبيل إتمامها لهذا المشروع، فأظهرت مشاعر الفرح والسرور لكون فرنسا نجحت في جعل المخطط الاستعماري للجزائر يبصر النور ويصبح واقعا سوف يخلصهم من السيطرة العثمانية التي كان يرى فيها هؤلاء مصدرا

¹ نجوى بن طوبال: المرجع السابق، ص30.

² بكري: وهو ميشيل كوهين بلغوي ابن زاهوت كان تاجرا من مدينة لفرورج قبل أن يفتح مرافقا تجاريا في الجزائر 1770م لثارت بدايته متواضعة في الجزائر لكن سرعان ما أخذت تزدهر حين انضم إلى بعض اليهود أمثال مردخاي سليمان ويعقوب داوود، وصهره بوجناح . ينظر : م حمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791_1830م)، الجزائر، مطبعة دحلب، ص34.

³ بوجناح: هو بوشناق أو نطالي، هو حفيد لابن زقوط ويعرف بنطالي بوجناح من أسرة ذات مركز تجاري في مدينة ليفرنة الإيطالية قدم إلى الجزائر في 1723م، أما تجارتهم فازدهرت في 1782م بعد أن كسب ثقة الداى حسن و نتيجة لعبه بمصالح البلاد قتل عل يد أحد الانكشارية عام 1805. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص178.

⁴ أهل ذمة: تعني اليهود والنصارى الذين يعيشون مع المسلمون في ظل الحكم الإسلامي، وأطلق عليهم أهل ذمة لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يعرض دينه على اليهود والنصارى فان قبلوا دخلوا الإسلام ، وأن رفضوا لم يكرهوا على شئ، وإنما سألهم انم يعطوا ثمن حماية المسلمين لهم وكف الأذى عنهم وقيامهم بمواجهة الأعداء دونهم. ينظر: أمال معوشي:

يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830 - 1870)، دار الإرشاد، 2013، ص9.

⁵ أمينة عباسي: المرجع السابق، ص19.

⁶ حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص43.

للاضطهاد،¹ والأكثر من ذلك فقد كان لليهود مساهماتهم الفعلية في إنجاح المخطط الفرنسي عندما تدخلوا في مسألة الديون الفرنسية لدى الجزائر، وتحريك القضية وفقا لما يتناسب مع تأزم العلاقات الفرنسية الجزائرية، وجعل فرنسا تتفد احتلالها للجزائر.²

حرصت الطائفة اليهودية ومنذ نجاح فرنسا في جعل الداوي حسين يوقع وثيقة الاستسلام في 5 جويلية 1830م على إعادة ترتيب أوضاعها وفقا لما يتناسب مع الوضعية الجديدة، فهناك العديد من اليهود الذين تركوا مدينة الجزائر وصعدوا إلى الجبال خوفا على حياتهم في الوقت الذي كان الأهالي الجزائريين يخوضون معركتهم الشرسة ضد القوات الفرنسية المتقدمة.³ وبعد أن تأكد هؤلاء من أن المقاومة التي خاضها الأهالي فشلت، وقيامهم بالاتصال بالفرنسيين قبل ذلك، وأبان اليهود على حقيقة موقفهم فأخذوا في الاعتداء على الأتراك والانتقام منهم بشكل حاقد جدا، والتقتيل والنهب، وتهديد الأهالي، فيوجد الكثير ممن قاموا بالوشاية لدى الفرنسيين على الأهالي من أجل جعلهم يتنازلون عن ممتلكاتهم وبيعها بأزهد الأسعار، أو جعل فرنسا تحصل عليها دون مقابل، وأبانت هذه الطائفة على ترحيبها الكبير بالمستعمر من خلال ارتداء القلنسوات الحمراء، والتي كانت السلطة العثمانية تمنعهم منها وجابوا الشوارع راكبين البغال، وكانوا يجلسون على ركبهم عند مرور قوات العساكر الفرنسية ويقبلون أيديهم⁴ وأيضا يصرخون بحياة فرنسا عند ملاقاتهم أي مسلم جزائري، ومن أشهر الشخصيات اليهودية التي رحبت بالوجود الاستعماري يعقوب بكري (Bacri) ومنافسه دوران (Dorane)، فلقد مارس اليهود كل الأساليب الانتهازية من أجل الحصول على الثروة فتسببوا في خسارة العديد من الأهالي والأتراك ممتلكاتهم بعد تهديدهم بالوشاية عليهم لدى القوات الفرنسية، وتمكنوا بفضل هذا من تحقيق ثروات هائلة مكنتهم من تبوؤ مراكز هامة ومعرفتهم بكافة أمور البلاد.⁵

ما يتضح لنا هو أن هذا الموقف تفاعلت في تحديده عدة عوامل أهمها النفوذ الاقتصادي والرغبة في السيطرة على التجارة في الجزائر، ولو على حساب حرية البلاد الجزائرية، إضافة

¹ أمال لمعوشي: المرجع السابق، ص 25.

² شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص ص 24_ 25.

³ أمال لمعوشي: المرجع السابق، ص 25.

⁴ حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 44.

⁵ المرجع نفسه، ص 44.

إلى أن اليهود بمختلف أصولهم وباختلاف فترات وفودهم على الجزائر اشتركوا في ميزة واحدة وهي حالة العزلة التي فرضوها على أنفسهم.

ثانيا/ الطائفة المسيحية:

يعود تاريخ تأسيس الكنيسة المسيحية بالجزائر قديما إلى الكنيسة المسيحية بقرطاجنة، ورغم اختلاف الكثيرون في تحديد هوية الشخص المتسبب في دخولها لإفريقية¹ في أول مرة تبقى المسيحية وانتشارها في افريقية مقترن بانتشارها في ايطاليا، حيث كان ذلك بمساعدة اليهود الإفريقيين واللغة اللاتينية، والتي هي اللسان الرسمي للكنيسة.²

حيث بقيت المسيحية في افريقية تحت جناح الظلام لا يعلم لها تاريخ إلى غاية القرن 4 م، إلى أن بدأت هذه الديانة بالظهور إلى العلن، ودخولها في صراعات مع السلطة الرومانية، حيث وجدت هذه الطبقة المستعالية في تعاليم هذه الديانة ما ينافي كبريائها، وجورها واستبدادها للضعفاء، فرفضت هذه الديانة وحاربتها واستخدم أباطرة الرومان كل قوتهم من أجل منع الديانة المسيحية من الانتشار والحد من ازدياد عدد أتباعها في الجزائر،³ واعتدوا على الأشخاص الذين تمسكوا بمعتقدهم الجديد، وقتلوا الكثيرين والذين سلموا من القتل لم يسلموا من السجن، وكان رؤساء الكنائس قد واجهوا اعتداءات السلطة الرومانية بكل شجاعة وثبات.⁴

ودخل قادة المسيحية الجدد في صراعات كبيرة مع السلطة الرومانية، حيث كان فرموس⁵ من أشهر من واجه السلطة الرومانية في سنة 372م، وقد ثار ضدها، وكان لديه

¹ إفريقية : اسم بلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية حدودها تمتد من طرابلس إلى بجاية. أنظر: طارق بن الزاوي: استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية(406 هـ - 1016 م / 454 هـ - 1069 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص20.

² مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ص ص:262_263.

³ عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص ص:16_17.

⁴ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص262.

⁵ فرموس :هو قائد أمازيغي ولد في نوميديا، وهو ابن رجل إفريقي مسيحي ،عرف بشجاعته وتمكنه من هزم الجيش الروماني في سنة 369 م قتل في سنة 375 بعد خيانة أخوه جلدون له. ينظر: مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق، ج1، ص262.

أنصاره الذين خاضوا المعركة معه، وبعد مقتلة من قبل الرومان، انتقامت السلطة من كل أتباعه الذين ساندوه.¹

وبعد مقتله ثار أخوه جلدون² ضد السلطة الرومانية هو الآخر، وسانده أنصاره، لكنه قتل هو الآخر، وانتصر الرومان عليه، حيث انتقامت مرة أخرى السلطة الرومانية من أتباع هذا المذهب واستعبدتهم.³

وانتشر مذهب الدنتوس بنوميديا وموريتانيا، وحاز على الأغلبية على حساب الأرثوذكس فيوضح بيان في سنة 411م، وبلغ عدد المراكز الأسقفية 187مركز، وعلى مدار تاريخها الطويل في الجزائر عانت المسيحية من الانقسامات الداخلية والصراعات فيما بينها، فوصلت لدرجة أنه كلما ازداد أساقفة أي حزب وأتباعه بأي ناحية اعتدوا على أتباع المذهب الآخر بالسلب والنهب وهدم المعابد،⁴ بالإضافة إلى الانقسامات الأخرى التي حدثت بين أتباع المذهب الواحد، مثل الذي حدث بين أتباع مذهب دونتوس الذين انقسموا إلى فئتين، فئة متساهلة مع المسيحيين الأغنياء، وفئة متشددة معهم واقرب للزهد، هذا الشيء الذي جعل البربر يقبلون على الفئة الثانية المتشددة التي كان لديها الكثير من الحقد تجاه السلطة الأجنبية المحتلة، ولهذا ساعدوا فرموس وجلدون في ثورتيهما ضد السلطة الرومانية واستمر الرومان في التضييق على المسيحية وانتشارها في الشمال الإفريقي،⁵ وكانت القرارات التي تهدف إلى الحد من انتشار المسيحية في الجزائر كثيرة لكنها لم تطبق بسبب ازدياد عدد متبعيها، ومن أبرز هذه القرارات القرار الذي أصدر في سنة 410 م، ولكنه لم يدخل حيز التنفيذ للأسباب المذكورة أيضا.⁶

يرى مينساج (Minsage) وهو مؤرخ المسيحية في إفريقيا أن "لما عجز البربر عن الرومان وطردهم من وطنهم، اكتفوا بإظهار الحقد والكراهية لهم فامتنعوا عن لغتهم ودينهم ومذهبهم فالشعب الذي لا يتكلم لغة مستعمره يعتبر ثائر، خصوصا إذا خالفه في المعتقد ويقول الكتاب

¹ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص 263.

² جلدون : هو أخ للقائد الأمازيغي فرموس عينه شقيقه قائدا لجيشه، في حروبه ضد الجيش الروماني. ينظر: مبارك بن محمد الميلي: المرجع نفسه، ج1، ص264.

³ مبارك بن محمد الميلي: المرجع نفسه، ص264.

⁴ المرجع نفسه، ص 264.

⁵ احمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 2001، ص ص: 48_49.

⁶ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص265.

والمؤرخون أن البربر ما دخلوا المسيحية إلا لكون الرومان وثنيين، ولما امتثل الرومان للمسيحية خالفهم البربر وأسسوا مذهبهم. ولم تتجاوز المسيحية بالجزائر حدود المملكة الرومانية ولم تنتشر إلا على حدود مملكة اللطينة، فكانت الأغلبية للوثنية، ورغم كثرة المراكز الأسقفية إلا أن ذلك كان راجع للتنافس الحزبي السياسي.¹

وكان مذهب دونتوس هو مذهب الأغلبية المسيحية بالجزائر، وذلك لأن ظاهره ديني وباطنه سياسي فأتباعه كان لديهم أهداف سياسية، فلم يتمكن الدين المسيحي من نفوس الكثيرين، ولم يستطع من تحويل طبائعهم وعاداتهم الوثنية، وكان الكثير من الأشخاص يذهبون للكنائس ويؤدون عباداتهم الممزوجة بالوثنية حتى في القرن 5م، وهو أزهى عصور المسيحية في الجزائر.²

وبعد الاحتلال الوندالي للجزائر وطرد الرومان استمرت المسيحية في المعاناة بسبب الصراعات فيما بين أتباعها، واستمر الاضطهاد خاصة للمذهب الأرثوذكسي، بعدها أخذت الديانة المسيحية³ بالاختفاء تدريجيا بعد أن تم الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب، وإقبال القبائل على اعتناق الدين الإسلامي إلى غاية اندثارها بشكل ما يقرب النهائي، وبامتداد تاريخ الدول الإسلامية التي ظهرت بالجزائر، شكلت المسيحية أقلية صغيرة ولا يقتصر وجودها إلا على أوروبيين، وصولا إلى عهد العثمانيين الذين حكموا الجزائر على مدار ثلاثة قرون، حيث عاشت فيها أقلية مسيحية متشكلة من فئة الأسرى خاصة، وبعض الرعايا الأوربيين والمترحمين الذين عاشوا كأهل ذمة.⁴ فالمسيحية ووجودها ارتبط بشكل بارز بالوجود الاستعماري الفرنسي و الذي منذ الوهلة الأولى ربط وجوده في الجزائر بعملية التصير.⁵

¹ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص265.

² أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص52.

³ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص265.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص265.

⁵ فوزية لوصيف: «تطور الخارطة الدينية بالشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية»، جامعة الأمير عبد القادر، قسم العلوم الإسلامية، قسنطينة، ص13.

ثالثا/ الطائفة المسلمة:

كانت منطقة بلاد المغرب إحدى أهم المناطق التي ركز عليها الفاتحون العرب المسلمين بعد نشرهم العقيدة الإسلامية في العديد من المناطق،¹ ولاستكمال المسيرة الناجحة للمسلمين توجه الفاتحون العرب نحو بلاد المغرب التي فتحت سنة 667هـ، بعد أن سيطرت الوثنية والمسيحية لقرون طويلة في أوساط القبائل البربرية، وكان الفتح العربي قد تم على يد حسان بن النعمان² سياسيا ودينيا، بعد أن كان عقبة بن نافع³ قد وضع له الأساسات الأولى فاستتب الأمن وأحكم العرب الفاتحون سيطرتهم على بلاد المغرب على الرغم من ظهور بعض المقاومات أبرزها مقاومة الكاهنة،⁴ وحدث أن اعتنق البربر الإسلام وكان السبب الرئيسي في ذلك سياسة الإخاء التي اتبعتها العرب الفاتحون والمساواة الفعلية مع البربر والحرية التي منحت لهم، حيث لم يتقلوا كاهلهم بالضرائب.⁵

بعد أن تم الفتح دخلت بلاد المغرب عهد الدويلات الإسلامية بظهور الرستميين والذين امتدت حدود دولتهم على مجمل التراب الجزائري الحالي، ماعدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا⁶ وكان نظامها الداخلي قائم على قواعد السنة والكتاب، والتي بفضلها فرض النظام، وبفضل اجتهاد علماء المذهب الإباضي تحت إدارة رئيسها الملقب بالإمام، ولا مكان للوراثة في

¹ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص54.

² حسان بن النعمان: أحد الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب، دخل المغرب سنة 74هـ/693م على رأس جيش كبير لم يدخل من قبل المغرب جيش مثله، وازداد عدده إلى الأربعين ألف مقاتل بعد أن انضم إليه المسلمين من البربر عاد حسان إلى المشرق سنة 86هـ/705م، وطلب الاستعفاء من الخليفة فعفاه. ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ من 65هـ لغاية 126هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج4، 1987، ص ص: 135_136.

³ عقبة بن نافع: هو احد القادة الذين نشروا الإسلام في بلاد المغرب، وفتح أفريقيا، وباني مدينة القيروان ولد في سنة 1 ق هـ، 622 م وتوفي في 63 هـ 683 م. ينظر: محمد علي قطب: من أبطال الفتح الإسلامي، مصر، دار الدعوة الإسلامية، ط1، 2016، ص640.

⁴ الكاهنة: هي بنت ماتيية بن تيفان كانت ملكة على الاوراس بينما قومها من قبيلة جراوة ملوك البتر حاربت الفاتحين المسلمين. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الفكر، ج6، 2000، ص143.

⁵ عمار بوحوش: المرجع السابق، ص28.

⁶ فتحية قرواز: الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2012، ص33.

هذه الدولة والخلافة، وكان السبب الرئيسي لانتهيارها اختلاف الكلمة بين الشعب والسلطة والتي أدت إلى إضعاف الدولة زيادة على ذلك ازدياد حدة الدعوة الشيعية.¹ ليأتي بعدها عهد الأدارسة بقيادة إسحاق بن محمد الأروبي بعد مبايعته من قبل حكومة المغرب البربرية في (172هـ/788م)، ولا يختلف نظام هذه الدولة في نظامها الإداري عن بقية الدول الإسلامية سوى أنها كانت غير مركزية، أما حدودها فتمتد من جهة الشمال الشرقي مدينة وهران ونهر الشلف، ومن جهة الجنوب سهول غريس بمعسكر إلى جبال مديونة قبلي فاس.²

وكان المذهب المالكي هو مذهب الرعية، ويرجع سبب انهيارها إلى انقسامها على نفسها بعد وفاة إدريس الثاني وتعيين ولده محمد الذي قسم بلاد المغرب بين أبنائه،³ وبعد نهاية عهد هذه الدولة دخلت الجزائر تحت سيطرة الأغلبية الذين تأسست دولتهم في (184 هـ - 800 م)، وكانت بلاد المغرب الإسلامي في هذه المرحلة تحت سيطرة محمد بن مقاتل المكي الذي كان أمير القيروان، وبسبب سوء سلوكه مع الرعية، انتفضت عليه فحاول الفرار من القيروان إلى دار الإمارة، ففشل في ذلك وعرج على طبنة⁴ عاصمة الزاب الجزائري، واستتجد بعاملها إبراهيم بن الأغلب، فساعده على قمع الثائرين وعاد إلى مركزه ولكنه فشل في إعادة الرعية إلى صفه، وعمل الشعب هذه المرة على خلع بالتعاون مع إبراهيم بن الأغلب الذي عين فيما بعد واليا على إفريقية.⁵

بعد عهد الأغلبة عرفت الجزائر وصول المد الشيعي بقوة، والذي يعود سبب وصوله إلى الجزائر إلى عبد الله المهدي الشيعي⁶ الذي عانى من الاضطهاد في المشرق، من طرف

¹ عبد الرحمان الجيلاني: تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج1، ص246.

² المرجع نفسه، ص247.

³ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ص ص: 112، 115.

⁴ طبنة: كانت عاصمة الزاب ومقر الولاة، وتقع وسط الزاب جنوب ولاية قسنطينة، وكانت مشهورة بعلمائها ورحالها في العصور الوسطى. ينظر: فتحة قرواز: المرجع السابق، ص22.

⁵ إفريقية: اسم بلاد واسعة ومملكة كبيرة جزيرة صقلية، وحدودها من طرابلس إلى بجاية. ينظر: طارق بن زاوي: المرجع السابق، ص20.

⁶ عبيد الله المهدي: مؤسس الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، اختلف الناس في نسبه بين مؤيد لمن دعاه من النسب الشريف، وأنه من ولد الحسين وفاطمة رضي الله عنهما. ينظر: طارق بن زاوي: المرجع السابق، ص18.

العباسيين وأيضاً لداعيته الأكبر عبد الله الصنعاني الشيعي¹ الذي وطد الدعوة الشيعية في بلاد المغرب، فمكث أكثر من عشر سنوات بين أبناء كتامة بجبال الأوراس، وبعد أن اطمأن له الناس بعث لقائده عبد الله المهدي، وجاء بالفعل هذا الأخير، وبعد عدة صراعات خاضها الصنعاني، جلس المهدي على عرش رقادة،² وكانت البيعة له يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 297 هـ / 910م، وقامت هذه الدولة على أعلى مرتبة وهي داعي الدعوة، وكان المذهب الرسمي للبلاد الفاطمية المذهب الشيعي بينما كان المذهب السني مذهب الرعية،³ وما عرف على عهد الفاطميين في بلاد المغرب أنه عهد فتن مذهبية وطائفية بين السلطة الشيعية والرعية السنية والتي انتهت فيها الصراع بفرض المالكية نفسها، وخروج الفاطميين نحو مصر.⁴

لتظهر الدولة الزييرية أو الصنهاجية في 972 هـ - 1014 م، فتمكن بلكين بن زييري من الخلافة في بلاد المغرب⁵ بعد عزم المعز على الذهاب إلى مصر، فوقع عليه الاختيار لقيادة بلاد المغرب،⁶ وكانت حدود هذه الدولة تمتد على حدود الأربعة ولايات التي كانت موجودة في عهد الدولة الفاطمية، لكن أعيد تنظيمها فأصبحت ولايتين عظيمتين وهما أشير، وتاهرت وفي نهاية المطاف كان مصيرها السقوط.⁷

ومن الدول الإسلامية التي حكمت الجزائر توجد الدولة الحمادية التي أسسها حماد بن بلكين بن زييري، وتعتبر أول دولة بربرية تحكم الجزائر ولا تتعدى حدودها عمالتي قسنطينة والجزائر اليوم تقريباً، وتمتد في الجنوب إلى ورجلان، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى سقوطها الضعف الذي عانت منها والعصبية الكبيرة،⁸ لتقوم على أنقاضها دولة المرابطين التي قامت على قواعد السنة والكتاب اللذين بفضلهما فرض النظام، حيث كان نظام هذه الدولة وراثياً

¹ عبد الله الصنعاني: الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بالشيعي من أهل مدينة صنعاء باليمن ، القائم بدعوة عبد الله المهدي ، تمكن من توطيد العبيديين في بلاد المغرب، قتله المهدي سنة 298 هـ - 910 م. يُنظر: طارق بن زاوي: المرجع السابق، ص17.

² عبد الرحمان بن الجيلاني: المرجع السابق، ج1، ص ص: 279_ 282.

³ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص138.

⁴ طارق بن الزاوي: المرجع السابق، ص53.

⁵ عبد الرحمان الجيلاني: المرجع السابق، ج1، ص320.

⁶ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص57.

⁷ طارق بن الزاوي: المرجع السابق، ص57 .

⁸ مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق، ج1، ص234 .

ويلقب حاكمها بأمر المؤمنين،¹ ومن أبرز الأسباب التي أدت إلى انهيارها بروز الموحدين والصراعات التي خاضوها معهم والتي استمرت 25 سنة.²

فعرفت بلاد المغرب في عهد الموحدين حالة من الوحدة السياسية، فقاد هذه الدولة المهدي بن محمد بن تومرت³، وتمكنت هذه الدولة⁴ من توحيد أجزاء بلاد المغرب ورد هجومات الصليبيين عن شمال إفريقيا الشيء الذي سمح للموحدين بالسيطرة على أجزاء بلاد المغرب لفترة طويلة،⁵ إلى أن بدأ الضعف يدب في الدولة وازدياد حدة التدخل المسيحي في سواحل بلاد المغرب وسقوطها في 1296م،⁶ وبرز الحفصيون الذين تأسست دولتهم في (626هـ - 1229م/981هـ - 1273م) بقيادة أبو زكريا الحفصي، فحكمت هذه الدولة في بعض الفترات جميع أجزاء بلاد المغرب، وواجهت العديد من المخاطر المتمثلة في انتشار الفتن والصراعات، وازدياد حدة التدخل البرتغالي في سواحل شمال إفريقيا الشيء الذي أدى إلى سقوطها، بعدها سيطر المرينيون على أجزاء بلاد المغرب لفترة كبيرة لكنهم لم يتخلصوا من الزيانيين بشكل نهائي، فلقد خاضوا صراعات كبيرة معهم انتهت بانتصار الزيانيين، وإعلان قيام الدولة الزيانية⁷ الزيانية⁷ التي عانت من الصراعات مع المرينيين والحفصيين إضافة إلى الفتن الداخلية والتحالفات التي أقامها البعض مع الإسبان، علاوة على ذلك سقوط الأندلس في أيدي الصليبيين وارتفاع حدة التحرشات والتحالفات الصليبية ضد الجزائر، كلها عوامل أدت إلى إضعاف الدولة الزيانية، وكذلك استتجاد الأهالي بالعثمانيين،⁸ والذين لبوا نداءهم وقدموا نحو سواحل بلاد المغرب، وقاوموا التحرشات الصليبية بمساعدة القوة العثمانية التي مكنت الإخوة

¹ عمار بوحوش: المرجع السابق، ص38.

² مبارك بن محمد الملي: المرجع السابق، ج1، ص ص: 288، 292.

³ المهدي بن تومرت: مصلح ديني مراكشي من قبيلة مصمودة، مؤسس الدولة الموحدية انتصر على المرابطين، تأثر بآراء الغزالي وابن جزم. له كتاب "كنز العلوم" درس ب"ملالة" قرب بجاية أين التقى ب"عبد المؤمن بن علي" ويعتبر أول من ترجم القرآن إلى الأمازيغية. ينظر: علي بطاش: لمحة عن تاريخ القبائل "حياة الشيخ الحداد وثورة 1871"، الجزائر، دار الأمل، ط3، ص43.

⁴ عبد الجبار صديقي: سقوط الدولة الموحدية "دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2014، ص35.

⁵ عمار بوحوش: المرجع السابق، ص41.

⁶ عبد الرحمان الجيلاني: المرجع السابق، ج1، ص343.

⁷ عمار بوحوش: المرجع السابق، ص45.

⁸ المرجع نفسه، ص50.

بربروس من التغلب على الإسبان، و طردهم من تونس والجزائر، الشيء الذي أدى إلى اعتقالهم حكم الجزائر منذ عام 1518 م تلبية لمطلب الأهالي، الذين أبدوا رغبتهم في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، وهذا ما تحقق فأصبحت من إيالاتها المهمة، واستمر حكم هذه الدولة في الجزائر على مدار ثلاثة قرون شهدت فيها تحولات كبيرة على جميع الأصعدة، وكانت نهاية عهدها في الجزائر في 5 جويلية 1830 على إثر توقيع معاهدة الاستسلام بين الداوي حسين والقائد العسكري دويرمون (de pormont)، ودخول الجزائر العهد الاستعماري الفرنسي، الذي خلف موجة استنكار كبيرة لدى الأهالي الذين قاوموا الاحتلال بكل الوسائل.¹

المبحث الثاني: المؤسسات الدينية:

أولا/المؤسسات الوقفية:

تعد المؤسسة الوقفية في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي في سنة 1830م إحدى أهم المؤسسات على الإطلاق مناصفة مع المساجد والزوايا، نظرا لدورها الكبير الذي لعبته هذه المؤسسة في المجتمع الجزائري سواء في أواخر العهد العثماني أو في بداية العهد الاستعماري، حيث انتشرت هذه المؤسسة بشكل كبير نظرا لعدة عوامل ساهمت في جعلها سمة بارزة في المجتمع الجزائري في تلك الفترة، وقد جاء مفهوم الوقف:

لغة: على أنه مصدر من باب وعد ويطلق على المصدر هو الإعطاء، وهكذا يتضح أن الوقف حبس وهما لفظان مترادفان يعبر عنهما الفقهاء بمدلول واحد.²

الحبس والمنع وقفت الدار حبسا في أي في سبيل الله، والجمع أوقاف الحبس في الدابة منعها وحبسها أن يتصرف فيها من غير الوجه الذي وقفت له. قد اشتهر إطلاق كلمة الوقف على اسم المفعول وهو الموقوف.³

أما اصطلاحا فتتعدد المفاهيم حول الوقف من الناحية الاصطلاحية، وتختلف باختلاف مذاهب العلماء والفقهاء الذين قدموا مفاهيم مختلفة حول الوقف فيعرف الوقف لدى المالكية بأنه:

¹ عمار بوحوش: المرجع السابق، ص52.

² انس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، ط 2، 1973، ص6.

³ نسيم بن توكي: أحكام الوقف في التشريع الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم الحقوق، جامعة محمد خيضر،

بسكرة، 2015، ص7.

حبس العين من التصرفات التملكية مع بقائها على ملك الوقف، والتبرع بريعتها على جهة من جهات البر، ومن خلال هذا التعريف يتضح أن المالكية لا يخرجون العين الموقوفة على ملك الواقف، بل يبقى على ملكه. لكنهم يمنعون التصرف فيها بالتصرفات الناقلة للملكية سواء بعوض أو بدون عوض، ويلزمه بالتصدق بمنفعتها، ولا يجوز الرجوع فيه.¹

وبشكل عام الوقف أو الحبس هو نظام إسلامي معروف، له أهميته البالغة اجتماعيا واقتصاديا، بحيث يكتسي هذا المعلم أهمية علمية كبيرة في المجتمع، واستحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرها من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء والغرباء والأسرى واللاجئين وصيانة المؤسسات التي أنشئت لهذا الغرض كالماء والطرق والمساجد والزوايا والقباب... الخ. حيث يرمز هذا النظام للتكافل الاجتماعي والتضامن بين المسلمين غنيهم وفقيرهم، بحيث يعتبر الوقف المصدر الأساسي لنشر التعليم والمحافظة على الدين كما هو الحال في الجزائر عشية الدخول الفرنسي وكما عرفه أبو القاسم سعد الله،² وعرفه أيضا أرنت مرسبي على أنه حبس العين على ملك الواقف والتصدق بانتفاع الأبدى لصالح الفقراء أو الهيئات الدينية أو خدمة للمنفعة العامة.³

1/ أنواع الوقف في الجزائر في العهد الاستعماري:

عرفت الجزائر في العهد الاستعماري نوعين من الأوقاف اللذين كانا منتشرين بشكل كبير، وهما الأوقاف العامة والأوقاف الخاصة.

فتعرف الأوقاف العامة على أنها هي تلك الأوقاف التي تكون لديها طابع جماعي، بحيث تكون مداخلها متعددة، وأيضا يكون الأشرف فيها على مجموعة من الملحقات والتوابع، ولكن هذا التعريف يلاحظ فيه بعض القيود والخصوصيات، فمثلا أوقاف الأشرف كانت خاصة بفئة معينة في المجتمع، وكذلك أوقاف الأندلس فهي لا تتعدى إلى غيرهم، كما أن أوقاف سبل الخيرات رغم عموميتها إلا أنها خاصة بمباني المذهب الحنفي، لهذا يعتبر هذا التعريف بالعمومية غير دقيق، ومن أشهر الأوقاف العامة في الجزائر في العهد الاستعماري أوقاف بيت

¹ صباح حليس: النظام القانوني للاستثمار الأملاك الوقفية العقارية في التشريع الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم الحقوق، جامعة الشهيد حمة لخصر، الوادي، 2015، ص 11.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 5، ص 153.

³ أرنت مرسبي: الوقف أو الحبس "قواعده وأحكامه"، تع: أمينة كواتي، 2014، ص 22.

المال، وأوقاف الطرقات، وأوقاف العيون، وأوقاف الأندلس، وأوقاف الأشراف، وسبل الخيرات، ومكة والمدينة.¹

ويقصد بالأوقاف الخاصة تلك الأوقاف التي تستخدم لمصلحة مسجد بعينه أو زاوية أو قبة، حيث كان لكل مبنى من هذه المباني أوقاف خاصة به حسب المنصوص عليه في الوقفية منذ إنشائها،² ولكل بناية وكيل يسهر على المبنى وأوقافه، فيعيش منها ويستعمل ريعها في الصيانة، ويصرف الباقي على الفقراء والعلماء، إذا نصت الوقفية على ذلك فالوكيل ملزم ومقيد بنصوص الوقفية، ومن الأوقاف الخاصة التي اشتهرت وعرفت في هذه الفترة، أوقاف الشيخ الثعالبي وأوقاف الجامع الكبير وأوقاف مختلف المساجد والزوايا والقباب، والجبانات، وأوقاف القنبي.⁴

2/ دور ووضعية المؤسسات الوقفية في الجزائر في العهد الاستعماري:

لعبت المؤسسة الوقفية في الجزائر على نوعيها في العهد الاستعماري دورا هاما جدا، باعتبارها كانت توفر مناصب شغل هامة جدا للعديد من الأشخاص، سواء دينية أو غير دينية، فنجدها تساهم في إصلاح حال الفقراء والمحتاجين في داخل الدولة وخارجها كأوقاف الحرمين الشريفين، وتعمل⁵ من أجل ترقية التعليم وتوفير الخدمة العمومية من خلال ماء السبيل، وإصلاح الطرقات والإنفاق على الحصون، فالأوقاف العامة على سبيل المثال كانت تؤدي دورا عظيما من خلال ذهاب ريعها لصالح الفقراء للتخفيف عنهم، وتوزيع النقود والمواد الغذائية يوم الخميس وعشية الجمعة، إضافة إلى العناية بالمؤسسات الدينية وصيانتها حتى في مكة والمدينة

¹ مؤسسة سبل الخيرات: ويعود تسمية أوقاف الأحناف بسبل الخيرات إلى ما قبل 1073هـ، وقد أسست هذه الهيئة لتقوم بإدارة المساجد والأوقاف الحنفية والتكفل بفقراء، وكانت إدارة هذه المؤسسة تتألف من وكيل وكتاب يدعى خوجة، وشاوش للحراسة وثمانية طلبية، وقد وضعت هذه المؤسسة تحت المراقبة الإدارية الفرنسية منذ أيام الأولى للاحتلال ثم ألغيت سنة 1841. ينظر: مصطفى حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوكس والوثائق العثمانية، الجزائر، دار الأمة، ص16.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص154.

³ المرجع نفسه، ص154.

⁴ فاطمة بن مصباح: إدارة الأوقاف في الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015، ص71.

⁵ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص122.

بالذات¹ من خلال الربيع الذي يذهب لشيخ الإسلام في مكة سنويا،² إضافة إلى تخصيص جزء كبير من ريع هذه الأوقاف لصيانة المساجد والمباني الدينية على العموم، زيادة على ذلك التكفل بمصاريف وأجور القائمين على المساجد وغيرها كالأئمة والعلماء والطلبة والوكلاء.³ إلا أنه ومنذ اللحظات الأولى للاستعمار الفرنسي للجزائر بدأت معاناة مؤسسة الأوقاف، حيث واجهت هذه المؤسسة هجمة شرسة من قبل السلطة الفرنسية، بحيث شرعت السلطة المحتلة في الاستيلاء على ممتلكات الأوقاف، حيث استولى المحتلون على ما أسموه أملاك البايك أو الدولة الجزائرية التي أسموها بأملاك⁴ الأتراك، حيث سلب الجزائريون حقوقهم، وأدمجت مداخل الأوقاف الإسلامية في ميزانية الدولة الفرنسية، وضاع حق العديد في التعليم والمساعدات الاجتماعية للفقراء، فكان مصير العديد من العقارات والأراضي التوزيع على المهاجرين، كما تم هدم العديد من المساجد والزوايا والقباب والجبانات في العاصمة، كما كان التصرف الحر والتعطيل عن الغرض الحقيقي من نصيب الكثير من الأوقاف⁵ فالإدارة لم تبق على الأوقاف كأمانات بل تصرفت فيها كما أرادت من خلال الهدم والتعطيل والاحتلال العسكري، فيوضح تقرير صدر في 1839م أن بين سنوات 1834م و1839م هدمت العديد من المنازل التابعة للأوقاف، ومنح الكثير منها للمصلحة العامة، ومع ذلك ارتفع دخل الأوقاف من 36000 فرنك إلى 72000 فرنك،⁶ حيث نرى أن فرنسا شرعت في تفكيك الوقف ومصادرته، والتضييق عليه بفرض رقابتها الدقيقة عليه، مما خول لها الحصول على العديد من الممتلكات التابعة للوقف بمبررات مختلفة، منها عدم وجود مستندات العقار الوقفي، فتمكنت من أن تفرض رقابتها الفعلية، وبتشكيلها لجنة لتسييرها تتألف من وكلاء مسلمين، برئاسة المقتصد الفرنسي

¹ محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ويوضرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981، ص192.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص158.

³ فاطمة بن مصباح: المرجع السابق، ص: 52_53.

⁴ فارس مسدور: «الأوقاف الجزائرية بين الاستثمار والاندثار»، كلية الاقتصاد، جامعة سعد دحلب، البلدة، ص5.

⁵ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص154.

⁶ المرجع نفسه، ص165.

الذي أصبح يتحكم في أكثر من 2000 مؤسسة خيرية بحسب ما جاء في تقرير صدر بتاريخ 10 ديسمبر 1835.¹

وأصدر في 4 جوان 1843م القرار الرامي إلى ضم أملاك الجامع الكبير إلى مصلحة الدومين ، وتولي إدارته ومصاريفه المتعلقة به، وهكذا كانت هذه الأوقاف من أشهر ما تم الاستيلاء عليه قبل سنة 1848م.²

فقد سيطرت السلطة الفرنسية على جميع أملاك الدولة الجزائرية من ثكنات وقصور وحصون وأموال باعتبارها حلت محل السلطة الجزائرية التي سقطت سنة 1830م.³

أما في عهد الجمهورية الثانية فقد تم الاستيلاء والسيطرة على جميع الأوقاف الخاصة مهما كانت وأينما وجدت في الجزائر من مساجد صغيرة وكبيرة وزوايا وقباب وجبانات، سواء كانت عامة أو خاصة من وكلائها وأصبحت هي من تتولى جمع المداخيل ودفع الأجور، وإطعام الفقراء، وصيانة المساجد، وكان هذا القرار في 3 أكتوبر 1848 م⁴ ففي هذه السنة بالتحديد

أصبحت إدارة الدومين هي من تتولى شأن جميع الأملاك الدينية، مع وجود فارق وحيد بين تحصيل المداخيل في السابق وتحصيلها بعد المصادرة فلم يعد لفائدة ميزانية كولونيلية، ولكن لفائدة ميزانية بلدية أو محلية، فبرغم أن القوانين الفرنسية نصت على التعويض في حالة ما إذا استخدمت الأوقاف في المصالح العامة،⁵ ورغم أن الإدارة الفرنسية بعد استيلائها على الوقف وإدارته زعمت أنها ستتكفل بالتعليم والمساعدات والصيانة، والشؤون الدينية... الخ، لكن الملاحظ أن التعليم أهمل كليا وأن الفقر انتشر وازداد في أوساط العامة والوكلاء، والمساجد والمعالم انهارت، بسبب الإهمال⁶ لذا يطرح السؤال أين هي الأموال التي تدرها المؤسسة الوقفية الوقفية التي تكفلت فرنسا بإدارتها. وللإجابة على هذا السؤال نلاحظ جيدا الإحصاء المقدم حول

¹ محمد قاسمي عبد الرؤوف الحسني: «التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف (نموذج الاقتصاد الوطني)»، 2007، ص9. موقع الإلكتروني. <http://dspace.cread.dz:8080/bitstream/CREAD/65/1/7> يوم 04/17/2017 على الساعة 07:30.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص164.

³ خالد رمول: الإطار القانوني والتنظيم لأموال الوقف في الجزائر، الجزائر، دار هومة، 2004، ص14.

⁴ محمد زاهي: الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830_1870)، مذكرة لنيل رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015، ص357.

⁵ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص164.

⁶ محمد زاهي: المرجع السابق، ص357.

المكتب الخيري سنة 1879م، حيث أن طريقة الدخل والصرف كانت جد غريبة حيث أن سنة 1879 أثناء حكم ألبير فريفي كان دخل المكتب الخيري 367.355.76 مليون فرنك، ولم يصرف منها سوى 112.547.53 مليون بفارق مليون 254.808.23 ما يعني استفادة المصلحة المسيرة من المبلغ الباقي في مشاريعها.¹

ثانيا/ المساجد والكتاتيب القرآنية:

تعد المساجد من أهم المظاهر والمنشآت المعمارية التي لا يمكن أن تخلوا أي مدينة من المدن الإسلامية منها، فهي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية لأهل المدينة، فالمساجد كانت من أبرز ميزات مدينة الجزائر التي تجلت فيها معالم الحضارة الإسلامية.

1/ مفهوم المسجد:

لقد اختلفت المفاهيم حول تحديد مصطلح موحد للمسجد من حيث الوظيفة والاسم (الجامع، المسجد، والزاوية) فبعض الجوامع والمساجد والزوايا كانت للعبادة والتعليم، ولكن هذه الأخيرة كانت تعتبر رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة والغرباء ومركز التلقين الأذكار واستقبال المريدين،² كما أن حجم هذه المؤسسات له دخل في تحديد وظائفها. فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجماعة أو الجمعة والعيدين، وكثيرا ما يسمى جامع الخطبة، وهناك الجامع الكبير أو الأعظم، فهي إذن ملتقى العباد ومجمع الأعين ومنتشط الحياة العلمية والاجتماعية وقلب القرية وروح الحي في المدينة. ولقد حرص الجزائريون برمتهم على إقامتها وترميمها وتوسيعها كلما سمحت لهم الفرصة.³ كما أن الجوامع والمساجد غير منسوبة إلى الأولياء والصالحين، بل هي منسوبة إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم.

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص ص: 164_165.

² المريدين: هم الإخوان، والأتباع، ومن ثمة المؤاخاة والرابطة بين أصحاب الطرق الصوفية أو ذوي الاتجاه الواحد. ينظر: سعد

الله: تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج9، 1998، ص8.

³ عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م، ص 81.

مثل الجامع الأخضر والجامع الجديد، والجامع الكبير... إلخ. كما أن بعض الجوامع كانت تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها مثل: جامع باب الجزيرة، وجامع سوق اللوح، أو تنتمي إلى الصفة أهل الحي، مثل: الخياطين وجامع حي الرمان بتلمسان.¹

أما عن وظيفتها الأساسية فهي مراكز لأداء الصلوات وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية، وتقدم دروس في الوعظ والإرشاد، وتعالج القضايا الناس ومشاكلهم اليومية،² ومركز لفنون العلوم التي كانت معروفة آنذاك.³ يوجد ثلاثة أنواع من المساجد منها:

1_ نوع أسسه الحكام، كالخلفاء والأمراء والولاة كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة المجتمعات الإسلامية وتسيير سبل أداء شعائرهم الدينية لكسب عطف الرعية، وربما للشهرة أيضا ومن ضمنها الجامع الكبير بالعاصمة.

2_ نوع كبير مما أسسه كبار الأثرياء للتقرب إلى الله واستحالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين ولكسب الشهرة أيضا، ومن ضمنها مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي.⁴

3_ نوع ثالث مما أسسته الهيئات والجمعيات الخيرية والدينية والاجتماعية تكملة لعمل الولاة وكبار الأثرياء وشيوخ الدين وعددها كثير جدا، حيث كان عدد مساجد العاصمة غداة الاحتلال 122 مسجدا بين صغير وكبير.

ومن أهم أشهر المساجد نذكر منها:

أ/جامع السيدة: ويعد من المساجد الرئيسية بالعاصمة منذ القرن 16م، ولقد اتخذته

الباشاوات مصلى لهم، فقال لودوييه عنه: " أنه كان أول جامع هدم بأيادي فرنسية، وكانت حجتها لتوسيع المجال حول قصر الدايات الذي وضع تحت يد السلطات العسكرية الفرنسية كمخزن ومحطة رئيسية، وهناك سبب آخر ذكره لودوييه وهو خوف الفرنسيين من أن يتخذ المسلمون جامع السيدة مركزا لهم ونقطة تجمع ومظاهرات.⁵

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص245.

² يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، الجزائر، دار الهدى، ج1، 2009م، ص210.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص245.

⁴ المرجع نفسه، ص210.

⁵ نفسه، ص15.

ب/ جامع محمد باشا: الذي كان مقابل قبة سيدي يعقوب على البحر، وهو جامع صغير، هدمه الفرنسيون، وقام ببنائه محمد باشا الذي حكم خلال (1765_1791م). ولهذا الجامع وقفية وقعت أمام القاضي الحنفي، وقد أنشأ أيضا الباشا محمد أوقافا حبسها على مقبرة شهداء الجهاد، وقد أعلن على لسان الشاوش أنه خصص جزءا من تلك الأوقاف للجامع الذي بناه وسمي باسمه.¹

ج/ جامع كتشاوة²: هناك عدة دلائل واقعية تثبت وجود الجامع في حي كتشاوة ويرجع ذلك إلى سنة 1021هـ/1621م، وقد أعاد الباشا حسن سنة 1209هـ/1794م بناءه وتوسيعه، وفي فترة الاحتلال سلم مسجده من طرف سلطات الفرنسية إلى الشريعة الكنيسة ليتسنى لها أن تقيم فيه شعائرها الدينية.³

2/ الكاتيب القرآنية:

هي جمع كُتاب، أي مكان تعليم الكتابة وغالبا ما كان عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في المنزل أو خيمة مصنوعة من وبر الجمال في صحرائنا المترامية الأطراف،⁴ ووحدت الكاتيب خلال القرن 10هـ/16م و11هـ/17م.⁵ والكتاب إذن: هو مركز أنشئ لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، وكان منتشرا في مكان، فلا يكاد يخلو منها قرية ولا ريف ولا حي ولا مدينة.

وقد أنشئ بغرض تجنيب بيوت الله أوساخ الأطفال وضوضائهم وللحفاظ على طهارتها ليجد فيها المتعبدون والمصلون جو الخشوع المطلوب في العبادة،⁶ إذن فهي مدارس الأطفال تعرف بالكاتيب وقد تحدث عنها الجامعي الفارسي في رحلته إلى مدينة الجزائر فقال: "...وقد كان بهذه الحضارة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد حيث أن المحل الذي لا يسع للتلاميذ

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص16.

² كتشاوة: وهي في تفسير أول حسب قاموس تركي، فرنسي تعني فراش يوضع فوق ظهر الجمل لتقل الإنسان. ينظر: سعد فويال: المرجع السابق، ص12.

³ سعد فويال: المرجع نفسه، ص72.

⁴ محمد بن شوش: التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1870م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ومعاصر، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007م، ص7.

⁵ صالح محمد سيد: «المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر) أواخر العصر التركي»، مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مج4، ع7، ص86.

⁶ عبد النور خيثر: المرجع السابق، ص199.

يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن الكريم، وحفاظ كثيرين...¹، بحيث كانت هذه المدارس مخصصة لإلقاء الدروس بها وعرفت طريقها انتشاراً في المناطق الحضارية.²

وكذا طريقة حفظ القرآن التقليدية عند الأطفال، بحيث كانوا يزدحمون حول المشايخ (الطلبة) حوله ذكورا وإناثاً من مختلف الأعمار ويجلسون على الأرض فوق الحصائر والسجاجيد في شكل دوائر نصفية،³ فيملون عليهم أجزاء من القرآن الكريم يكتبونها على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال، بأقلام من القصب وصمغ، وبعد كتابته وتصحيحه في الفترة الصباحية، يتمرن الأطفال على قراءته قراءة أولية ثم يتلونه في المساء ويقرؤونه بأصوات مرتفعة، حتى يحفظونه ثم يمحوون في صباح اليوم الموالي، ويكتبوا غيره وهكذا بصفة دورية، حتى يأتوا على كل سور وأحزاب القرآن الكريم.⁴

وإلى جانب تحفيظ القرآن يتلقى الأطفال في بعض هذه الكتاتيب الكبيرة قواعد تلاوة القرآن وتجويده وترتيبه على الروايات السبع والعشرة، ويحفظون بعض متون العلوم الفقهية والشرعية واللغوية.

ومعظم هذه الكتاتيب القرآنية في الجزائر بسيطة المظاهر والمبنى، وقليلة الإمكانيات المادية وأصحابها "الطلبة" من الطبقة الفقيرة جداً، بحيث يزاولون تعليم القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساساً،⁵ ويستعملون الفلقة لمعاينة الأطفال،⁶ فقد كانت العلاقة بين بين المؤدب وطلبة العلم علاقة احترام. أي احترام الصغير للكبير وهو مبدأ سائد في المجتمع كله، إلى جانب احترام حفظ القرآن، فقد كان الشيخ أو المؤدب بمثابة الأب للتلاميذ.⁷

¹ صالح محمد سيد: المقال السابق، ص 68.

² عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص 193.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 346.

⁴ انظر الملحق رقم (3): (صورة لمدرسة قرآنية سنة 1880م)، ص 116.

⁵ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ص 213_ 214.

⁶ الفلقة: وتستخدم لمعاينة الأطفال الذين لا يجتهدون في التعليم وكذلك المنحرفين، بحيث كانوا يضربون على أقدامهم بواسطة عصا خشبية، وكان الهدف من استعمال تلك العصا في الإبقاء على النظام وجلب الانتباه قليلاً ما كانت تستخدم للعقوبة.

ينظر: بوعزيز: المرجع نفسه، ص 214.

⁷ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1، ص 346.

كما أنه كان بمدينة الجزائر أكثر من مائة مدرسة قرآنية عند الاحتلال، ولكن مصيرها كان الهدم أو تحويلها مخازن ودكاكين، ومن ضمن هذه الكتابيب والمسيدات في حي القصبه وحده بالجزائر العاصمة نجد المسيدات: مسيدة بريقيصة، سيدي بوقدور وضريحه، ابن علي وضريحه، مسيد الحمامات.

وبالرغم من المظهر المزري أحيانا لهذه الكتابيب القرآنية والأساليب العتيقة المطبقة بداخلها فإن دورها هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم والطابع العربي الإسلامي للجزائر شكلا ومحتوى، وفي مقاومة وإفشال سياسة التنصير الفرنسية،¹ وحماية الشخصية العربية والإسلامية للجزائر.

ثالثا/ الزوايا والطرق الصوفية: الزوايا: عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تحتوي على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم العربية الإسلامية وأخرى لسكن الطلبة، وأما مؤسسو هذه الزوايا رجال دين متصوفون، متزهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة وانتقل الزهد والتصوف إلى بلاد المغرب في أواخر العصر الوسيط ومطلع العصر الحديث خاصة خلال الزحف الاستعماري الفرنسي في القرنين 19 و20م، وهي نوعان:²

نوع خلواتي: يدعى شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية ولكل شيخ طريقة لفرضها على أتباعه من الفقراء والإخوان والمريدين. فعندما تكون الزاوية ميسورة من الناحية المادية وذلك من غنى شيخها وكثرة الأوقاف، تخصص نصيبا لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم العلوم الدينية مثل: الفقه والتوحيد واللغة.

نوع غير خلواتي: لا يدعى شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ولكن يتخذون لأتباعهم "وردا" خاصا من الأذكار يتلونها وراء الصلوات، يعلمون الأطفال القرآن وتلاوته وبعض العلوم الدينية، و فهنا يمكن اعتبارها بمثابة كتابيب قرآنية.³

¹ فويال: المرجع السابق، ص13.

² بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ص214.

³ فويال: المرجع السابق، ص14.

إن الزوايا كانت منتشرة في الأرياف والمدن، فمنها التي لا تتسب إلى ولي أو إلى طريقة، ومنها ما تتسب إلى ولي فيكون ضريحه في الغالب ومنها ما تتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية، كالطريقة الرحمانية والطريقة القادرية وغيرها.

_ أما موارد الزاوية فتتمثل في مداخيل الأوقاف والحبوس التي يوقفها الأتباع لها، وفي الزكاة، والهدايا العينية التي يتلقونها من أفراد القبيلة والنذر "الوعدة"¹ وما يجمعه لها تلاميذ الزاوية وغيرها من الموارد.²

ومن ضمن الزوايا في الجزائر: الزاوية القادرية التي تأسست سنة 1713م، وكذلك الزاوية والتيجانية سنة 1770م، الزاوية الرحمانية التي تأسست سنة 1793م، بحيث كان لكل زاوية من هذه الزوايا فروعاً كثيرة تحمل أسماء مختلفة حسب المشايخ والمقدمين.³ وقد بلغ عدد الزوايا بمدينة الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي 12 زاوية.

دور الزوايا الدينية في الجزائر:

ولقد برز دورها في الميدان التعليمي والجهادي، الأمر الذي أكسبها احتراماً واسعاً، وذلك بفضل مساعدتها الاجتماعية والأعمال الخيرية، كما أن هدفها الأساسي والجوهري منذ تأسيسها هو النشاط التعليمي والتربوي، بداية من تحفيظها القرآن الكريم وتدريس علومه التفسير والفقه وعلوم الحديث والسيرة النبوية من أجل إعداد وتكوين الشيوخ والأئمة قصد إنشاء زوايا أخرى للتعليم والعبادة.⁴

وقد لعبت الزوايا الدينية بمختلف أشكالها وأنواعها أدوار كبيرة في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية وحتى السياسية بالجزائر وغيرها من مختلف مناطق القطر الجزائري، فبعض النقاط كانت سلبية لكن أغلبها كانت ايجابية.

¹ الوعدة: هي عبارة عن احتفال ديني يقوم به أبناء أو أحفاد أو سلالة ولي من الأولياء أو التابعين لطريقته قصد التبرك حيث تلتزم الفئة القائمة عليه من هؤلاء بالدعوة للزيادة، فيأتون من كل المناطق الجزائرية وينظمون قرب ضريحه هذا الاحتفال. ينظر: عبد القادر فيطس: «ظاهرة الوعدة الشعبية في الجزائر بين الاعتقاد والممارسة»، مجلة الثقافة الشعبية، ع17، السنة الخامسة، 2012، ص113.

² مختار طاهر فيلاي: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة، دار الفن، ص27.

³ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ص: 202_203.

⁴ صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، بيروت، دار البراق، 2002م، ص: 310، 313.

حيث عملت على نشر الإسلام بصفة دائمة ومتواصلة، كما أنها لعبت دورا هاما لإزالة الفوارق الاجتماعية فقربت بين الأغنياء والفقراء، العلماء والأميين، وشرفاء الأصل وغيرهم وبالتالي إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية، وذلك بفضل مركز الشيوخ والأئمة ودورهم في الحكم. وبالتالي قللت من المشاكل بين الناس. وعلى سبيل المثال فقد ساد بالعاصمة نوع من الاستقرار النفسي والخلقي مما ساعد السكان على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية، وكانت هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون. غير أن معظمها قد تسرب كثرات إلى بلدان الأوروبية خلال فترة السيطرة الاستعمارية، وتعرض جزء هام منه إلى التلف والضياع خلال مقاومة الاستعمار في القرنين 19 و20م.

ولقد بذلت هذه المؤسسة جهودا كبيرة وكثيفة في المقاومة الفرنسية والتنصير وعملت على حماية الشخصية العربية للجزائر.¹

فكان الحاج سيدي السعدي قائد المقاومة الشعبية في المتيجة، والحاج محي الدين وابنه الأمير عبد القادر في الغرب، ومشاركة زوايا الطرق الصوفية في مختلف الثورات التي عرفتها زواوة بدء بثورة بومعزة إلى ثورة الشريف بوبغلة إلى ثورة لالا فاطمة نسومر، ودورها البارز في انتفاضة عام 1871م.²

أما الدور السلبي فيتمثل فيما يلي:

فلقد اتبعت هذه المؤسسات أساليب عتيقة لم تكن تتلاءم مع التطورات الحديثة التي صحبت النهضة حتى لو كانت لا تتعارض مع التقاليد العربية الإسلامية، كما عملت على نشر الدروشة والخرافات والأباطيل والبدع الدينية بين الفئات الضيفة الأفق الفكري ويرجع ذلك لعزل الجزائر عن العالم العربي الإسلامي من طريق الاستعمار، في القرن العشرين معظم الشيوخ والزعماء للإدارة الاستعمارية. بعد أن أدركهم التعب والوهن، فخدموها لأسباب ودوافع متنوعة البعض للتقية، والبعض للحصول على المال، أو الجاه أو السلطة والنفوذ.³

¹ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ص ص: 217_219.

² كفاح جرار: زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، الجزائر، الأنييس، ط1، ص149.

³ فويال: المرجع السابق، ص16.

ب- الطرق الصوفية:

معنى التصوف: لغة مشتق من الصوف؛ لباس الزاهدين، وأما اصطلاحاً: هو علم من العلوم الإسلامية وهو في حقيقة أمره روح الإسلام وجوهره لأنه تصفية القلب وتطهيره من نجاساته عن غير الله وإخلاص العبودية وتحرير الجسد ونبذ الدنيا وهجرة لذائذها والخشوع، والصمت،¹ والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.² إن لكل طريقة صوفية ما يميزها عن غيرها من الممارسات الصوفية فالقادرية تتميز بالإحسان والصدقة والرحمانية بالعزلة والخلوة والعيساوية بالتصوف الخشن بما يوحي بأهمية الإحساس البدني عندها، والدرقاوية بتفضيل الفقر والابتعاد عن طلاب السلطة والطيبة والتيجانية تتميز بالتسامح والاعتدال والسنوسية بإعطاء الأولوية للسلطة الدينية... إلخ.³ ووصل عدد الطرق الصوفية في الجزائر 26 طريقة، منها أربعة نشأت في العهد الاستعماري كالسنوسية والعلوية والباقي كان موجوداً منذ العهد العثماني، وبعضها مؤسس بالجزائر كالرحمانية والتيجانية....، والبعض الآخر في المغرب كالتطيبية ومنها ما هو مؤسس في المشرق كالقادرية،⁴ وأشارت المصادر إلى أنها بلغت حوالي 349 زاوية.⁵ وأهم الطرق الصوفية التي ذاع صيتها في الجزائر نذكر مايلي:

الطريقة القادرية:

تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والذي ولد عام (470هـ/1077م) وتوفي في بغداد عام (561هـ/1166م)⁶ نسبة إلى مسقط رأسه (جبل أوجلاني)، أنشأت عدة فروع لها في الجزائر أهمها الفرع الذي أسسه الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي عام 1200هـ، وقد انتشرت هذه الطريقة انتشاراً واسعاً في شرق البلاد وغربها.⁷ وذكرت الإحصائيات، بصفة عامة، أن عدد زوايا القادرية في الجزائر سنة 1882م

¹ صلاح مؤيد: المرجع السابق، ص9.

² الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ و12 و13م، دار الهدى، 2004، ص34.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص8.

⁴ كفاح جرار: المرجع السابق، ص110.

⁵ محمد بن شوش: المرجع السابق، ص10.

⁶ عامر هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر، 1988، ص109.

⁷ صلاح مؤيد: المرجع السابق، ص: 145_146.

كان: 29 زاوية و 268 مقدا وأتباعها 14574¹، وفي سنة 1897 ارتفع عددها إلى 33 زاوية، الإخوان 25.578، منهم 2.695 امرأة و 558 مقدم، 521 طالبة، 4 شيوخ،² ومن أهم زوايا القادرية في الجزائر بمنطقة الغرب (وادي الخير) بمستغانم، تلمسان، ندرومة الرمشي، بلعباس، معسكر، أما في الشرق فقد بلغت 15 زاوية في كل من قسنطينة تبسة، قالمة.... أما في الجنوب فنجد وادي سوف ورويسات بورقلة.³

واشتهرت هذه الطريقة بمناوئتها للاستعمار الفرنسي وأدت دور عظيم في حمل راية الجهاد والمقاومة دفاعا عن الإسلام والوطن.⁴

الطريقة التجانية:

تأسست سنة 1770م، تنسب إلى الشيخ أحمد بن محمد بن المختار التجاني، ولد سنة

(1737_1815م)، انحصر مجال هذه الطريقة في عين ماضي و ورقلة و وادي سوف

وتماسين لكنها انتشرت بشكل واسع في إفريقيا خاصة في المغرب والسودان والسنغال ونيجيريا على حساب القادرية،⁵ وكانت لها أهمية اجتماعية وسياسية خصوصا في عهد الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يستغل نشاط الطرق الصوفية وتأثيرها الروحي لتحقيق أغراضه.⁶

الطريقة الرحمانية:

مؤسسها هو الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري الذي عاش في القرن الثامن عشر⁷ وتوفي 1793، وقد نشأت في زاوية بين بجاية شرقا ودلس غربا، وانتشرت بشكل واسع في زاوية والزيبان وشرق الجزائر،⁸ وقد تولدت عنها عدة فروع خلال النصف الأول من القرن 19

¹ إسماعيل حنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1884-1931م)، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010م، ص: 32_33.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص46.

³ عبد الباقي مفتاح: أضواء على الشيخ الجيلالي وانتشار طريقته، عين مليلة، دار الهدى، الجزائر، 2008م، ص: 313_314.

⁴ صلاح مؤيد: المرجع السابق، ص146.

⁵ رايح لونييسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1989)، الجزائر، دار المعرفة، ج1، 2010، ص125.

⁶ عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، وهران، دار الغرب، ص139.

⁷ بشير بلاح: موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830.1989م)، الجزائر، دار المعرفة، 2000م، ص82.

⁸ كفاح جزار: المرجع السابق، ص 114.

وأهمها في قسنطينة، والخنقة، وطولقة، والهامل،¹ وقد تحالفت مع الطريقة القادرية على مجاهدة المحتل الفرنسي عام 1830، و لقد لعبت دورها بارزا في ثورة 1871.²

الطريقة الدرقاوية:

هي طريقة ذات أصل شاذلي ومؤسسها الشيخ محمد العربي الدرقاوي،³ والمتوفى عام 1823م، خالفت تعاليم الشاذلية في التسامح والحياد إزاء السياسة والمهادنة فقد كانت زاوية مقاومة بحق، بل وأعطت أيضا دفعا جديدا للشاذلية بفضل حيوتها،⁴ وانتشرت في غرب الجزائر "وهران، مستغانم، الونشريس، تلمسان وتيارت"،⁵ وكانت الطريقة وراء الكثير من الثروات التي قامت ضد الحكم العثماني من قبل والاحتلال الفرنسي فيما بعد، وقد بلغ عدد زوايا الطريقة الدرقاوية سنة 1882م و 32 زاوية و 268 مقدم و 1474 مريد، ومن زواياها في الجزائر زاوية سيدي عدي قرب تيارت و بها "4000 مريد".⁶

ومن أهم فروعها الهبرية في مناطق غرب الوطن وخاصة في سعيذة ومعسكر وتيارت، الكتانية والعلوية والحراقية.⁷

الطريقة السنوسية : أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، الذي ولد حوالي عام(1202هـ_1787م)، بالقرب من مدينة مستغانم، وتوفي عام 1276هـ.1859م، وسرعان ما انتشرت السنوسية في ربوع ليبيا و ثم عبر الصحراء الكبرى حيث نافست القادرية والتجانية نظرا لإخلاص دعائها وبساطة تعاليمها،⁸ كما أنها عرفت بمواقفها الجهادية المعادية للاحتلال الأجنبي ومنها الفرنسي في الجزائر وإفريقيا، وكانت تمد الدعم لكثير من رجال المقاومة ومنهم

¹ بشير بلاح :المرجع السابق، ص82.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص144.

³ الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف: يلقب بأبو درقاوي الشريف الإدريسي، ولد في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش (1150_1737م)، اشتهر بالاستقامة والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان. ينظر: فيلالي مختار: المرجع السابق، ص53.

⁴ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع سابق، ج4، ص ص:112_113.

⁵ فيلالي مختار: المرجع السابق، ص55.

⁶ إسماعيل حنفوق: المرجع السابق، ص 51.

⁷ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع سابق، ج1، ص 518.

⁸ بشير بلاح: موجز تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 82.

الثائر محمد بن عبد الله التقي بالسوسني في مكة ونسق معه الدخول إلى الجزائر إعلان الثورة، ولم تؤسس سوى زاوية واحدة لهذه الطريقة الطوكوكية¹ في نواحي مستغانم.²

دور الطرق الصوفية الديني والسياسي:

الدور الإيجابي: لقد اهتمت الطرق الصوفية بتعليم اللغة العربية والقران الكريم

ومبادئ الإسلام، وعملت على إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الفئات

الاجتماعية المختلفة، فقربت بين الفقراء والأغنياء والعلماء والأميين وغيرهم، كما

شاركت في العديد من المقاومات والثورات في فترة الاحتلال، كثورة الأمير عبد

القادر³ (1832_1847م)، وثورة الحاج موسى الأغواطي الدرقاوي⁴ في التيطري

1835م، وثورة الشيخ أحمد بوزيان القادري⁵ في واحة الزعاطشة 1849م.⁶

أما الدور السلبي لها فتمثل في:

¹ الزاوية الطوكوكية: هي الزاوية الوحيدة للسوسنية في الجزائر، أسسها سنة 1859، الشيخ طوكوك الشارف ولد الجيلالي عبد الله بن طوكوك مولود حوالي 1794 توفي سنة 1890. ينظر: عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص ص: 158_159.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص: 266_267.

³ الأمير عبد القادر: هو عبد القادر بن الحاج محي الدين بن مصطفى من مواليد 1807 بقربة القيظنة في منطقة غريس غرب مدينة معسكر، من عائلة الأشراف استطاع الأمير عبد القادر اكتساب المعارف وحفظ القران الكريم في ظرف وجيز، وتزوج وعمره 15 من ابنة عمه، و قد بويع أمير لقيادة المقاومة ضد التوسع الاستعماري في الغرب الجزائري سنة 1832م وعمره 24 سنة، واستمرت مقاومته حوالي 17 سنة إلى غاية استسلامه سنة 1847م. للمزيد ينظر: سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1830_1900)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1992، ص ص: 171_181.

⁴ موسى الأغواطي الدرقاوي: موسى بن الحسن ولد بالقرب من مدينة دمياط بمصر ثم انتقل إلى طرابلس الغرب سنة 1826، و قد تعلم العلوم الشرعية والقران الكريم بها، ثم انتقل إلى مدينة الأغواط سنة 1829 ورحب به أهلها، و انظم له عرش الأحلاف هناك وبنوا له زاوية خاصة به، ولقد خاض غمار الجهاد ضد الفرنسيين، وشارك في معركة الزعاطشة، ولقد استمرت مقاومته إلى غاية استشهاده سنة 1849. ينظر: السعيد بلقاسم: «موسى بن الحسن الدرقاوي حارب الأمير و الفرنسيين»، جريدة الجلفة أنفو، 2007. الموقع الإلكتروني w w w.djelfa.info يوم 2017/4/02 على الساعة 10:33.

⁵ الشيخ أحمد بوزيان: هو الشيخ بوزيان بن إسماعيل (أو ابن ابراهيم) من مواليد منطقة لشانة ببسكرة، ومن عائلة الأشراف، تلقى تعليمه الأول بزاوية الشيخ بسعادة الرحمان، عمل سقايا بالجزائر العاصمة إلى أن عينه الأمير عبد القادر خليفة له في الزاب الظهراوي. ينظر رضوان شافو: الجنوب الشرقي لجزائر خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا (1844_1962)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراء علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، بوزريعة، جامعة الجزائر، 2012، ص23.

⁶ بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، ط2، ج1، 1984، ص ص: 344_346.

اتخاذها لأساليب ومناهج مختلفة تجاوزها الزمن وخاصة في الحقبة الاستعمارية¹ ونشرها للبدع والخرافات بين أتباعها، كما عملت على شن الخلافات بين شيوخ الطرق الصوفية حول بعض القضايا الهامشية،² وتحالفها مع الإدارة الاستعمارية لأسباب ودوافع مختلفة ومتنوعة فالبعض للتقية والبعض للحصول على الجاه أو المنصب، وهناك من التزم الحياد لمواصلة النشاط الديني والتربوي.³

وعموما يبقى دور الطرق الصوفية وزواياها مهما بالرغم من بعض سلبياتها فهي أدت دورا هاما خاصة في الفترة الاستعمارية، وعملت على دعم وإدخال إصلاحات جذرية على أساليبها التعليمية والتربوية واحتضان اللغة والثقافة العربية الإسلامية والوقوف ضد التنصير، ومقاومة حملات الغزو والاحتلال.

خلاصة الفصل:

مما سبق عرضه وتحليله في الفصل الأول نستنتج عدة نتائج أهمها:

التواجد الكبير لليهود بالجزائر قبيل عملية الاحتلال وحضورهم الفاعل في المجال الاقتصادي والتجاري، إضافة إلى المكانة التي كانوا يحضون بها لدى الحكام العثمانيين على الصعيد الرسمي، ولكن ذلك لم يكن كافيا لدى اليهود لإخراجهم من حالة العزلة والتفوق التي فرضوها على أنفسهم بغية الحفاظ على خصوصيتهم كيهود، بالإضافة إلى موقفهم السلبي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كما عانت المسيحية من صراعات كبيرة في الجزائر ضد السلطة الرومانية، و لكن اختفت بشكل نهائي بعد الفتح الإسلامي حيث أصبح وجودها يقتصر على بعض الأوربيون فقط، وهذا الفتح خلق نوعا من الوحدة الدينية والسياسية رغم وجود بعض الصراعات من وقت لآخر. وتعتبر المؤسسات الدينية بالإضافة إلى رسالتها الدينية مركزا لنشر التربية والتعليم، ورغم الموقف العدائي للإدارة الاستعمارية لهذه المؤسسات إلا أنها أثبتت صمودها ضد الاحتلال، ويتجلى ذلك من خلال تبني جُل قادة الزوايا لبعض المقاومات الشعبية.

¹ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 237.

² المرجع نفسه، ص 241.

³ بوعزيز: ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 359.

الفصل الثاني : مظاهر الحياة الدينية.

المبحث الأول :العبادات والشعائر الدينية.

المبحث الثاني : القضاء الإسلامي والتعليم الديني.

المبحث الثالث : علاقة المسلمين بالطوائف الغير الإسلامية.

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م عرفت الحياة الدينية في الجزائر تغيرا جذريا شمل جميع الجوانب سواء على صعيد ممارسات والحريات الدينية أو على مستوى مظاهر الحياة الدينية التي طغى عليها في وقت سابق مظاهر الحياة الإسلامية. و يتناول هذا الفصل مظاهر الحياة الدينية، وقد ركز المبحث الأول على مظاهر العبادات و الشعائر الدينية، وأما في المبحث الثاني تناولنا فيه القضاء الإسلامي والتعليم الديني، وأيضا تطرقنا إلى التعليم الديني لكل الطوائف الثلاثة. و المبحث الثالث بعنوان علاقة المسلمين بالطوائف الغير إسلامية، وقد أبرزنا فيه العلاقة التي كانت تجمع بين المسلمين و الطائفتين المسيحية واليهودية.

المبحث الأول : العبادات والشعائر الدينية:

أولا/الشعائر الدينية الإسلامية : طغت الممارسة الدينية على المجتمع الجزائري الإسلامي منذ عصور قديمة، وتغلب المعتقد والدين على سلوكيات الجزائريين وأدائهم في حياتهم والذي تجسد في احترام المؤسسات الدينية ورجال الدين إلى درجة تصل أحيانا إلى التقديس، ولم تكن الفترة الممتدة ما بين (1830-1900م) استثناء حيث عرفت الحياة الدينية للأهالي المسلمين تنوعا كبيرا في الممارسات الدينية والشعائر الإسلامية، أبرزت ذلك الاهتمام الذي يوليه الجزائريون لدينهم الإسلامي من خلال حرصهم على أداء واجباتهم الدينية وإرفاقها باحتفالات جماعية رغم التضييق الفرنسي المتعمد على هذه النشاطات والشعائر،¹ فلم ينقطع ذلك الترابط الروحي بين الجزائريين ودينهم الإسلامي، وتعددت الممارسات والشعائر الدينية للجزائريين في هذه الفترة وأبرزها كمايلي:

1/الصلوات الإسلامية:

تعد الصلوات الإسلامية الخمسة الواجبة على المسلمين عامة من أبرز مظاهر الحياة الدينية والشعائر التي مارسها الجزائريين وهي متكونة من:

_ صلاة الفجر : وهي ركعتان ووقتها ظهور النور الأبيض من أفق الشمس حتى قبل شروق الشمس.

¹ هواري قبائلي: مسألة الحج في الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر(1894_1962)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014، ص32.

_ صلاة الظهر : وهي أربع ركعات ووقتها يبدأ من زوال الشمس من كبد السماء، وينتهي عندما يصير ظل كل شيء مثله.¹

_ صلاة العصر : أربع ركعات ويبدأ وقتها من صيرورة ظل الشمس مثله إلى قبيل غروب الشمس بنصف ساعة على الأقل.

_ صلاة المغرب : وهي ثلاث ركعات ووقتها يبدأ من غروب الشمس إلى وقت غروب الشفق الأحمر.

_ صلاة العشاء: وهي أربع ركعات، ويبدأ وقتها من غياب الشفق الأحمر إلى وقت قبيل الفجر.²

2/الإحتفال بشهر رمضان:

شكل شهر رمضان شعيرة هامة جدا في حياة الجزائريين الدينية، حيث يكتسي هذا الشهر طابعا اجتماعيا مميزا، ولعل أقدم وصف لاحتفال الجزائريين بهذا الشهر وتمسكهم به هو الذي تركه لنا هايدو (Haideau) الذي أكد على تمسك الجزائريين بصيام هذا الشهر، إذ أن الصوم له أهمية كبرى عندهم، حيث لا يأكل أي شخص منهم حتى ولو كان مريضا أو طاعنا في السن أو حتى النساء الحوامل، إلا بعض الأشخاص المنتمين لطوائف غير إسلامية،³ ويتم الإعلان عن شهر رمضان المبارك، عند رؤية الهلال فيطلقون طلقة من مدافع المدينة، ويكون الصيام من خلال الإمساك عن الطعام من صلاة الفجر، فينقطعون عن الأكل والشرب، إلى غاية غروب الشمس ويتم الإعلان عن الإفطار بطلقة مدفع أيضا، وقبل أن يتم القيام بذلك نجد أن بعض الأسر ينتظرون الطلقة خارج بيوتهم، ومن المظاهر التي تبرز تمسك الجزائريين بممارسة هذا الواجب الديني، هو رفض المرضى لتناول الدواء وحتى إذا أرغموا على ذلك فإنهم يعوضون تلك الأيام فيما بعد⁴ ويحي الأهلالي شهر

¹ هبة درويش: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والإسلام والمسيحية، مصر، ط1، 2006، ص190.

² المرجع نفسه، ص ص: 190_194.

³ نجاة بلعجال :الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518- 1830 دراسة في الاحتفالات الشعبية والدينية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2014، ص66.

⁴ المرجع نفسه، ص67.

رمضان من خلال القيام بنشاطات متعددة، وما يميزه السهرات التي تقام في المقاهي التي تصاحبها من حين إلى آخر آلات موسيقية.¹

3/الحج:

وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، والأكثر دعوة للحركة والتسفار، حيث يتوجب على المسلم الحج إلى بيت الله الحرام باشتراط الاستطاعة الجسدية والمادية، ومن هناك جاء أثر هذه العبادة الكبرى التي تمتد بركتها من خروج الحاج من منزله وموطنه قاصدا بيت الله العتيق وقطعه للبلدان والأقاليم وبحار حتى وصوله إلى مسعاه، ثم رجوعه إلى بيته بما ذلك من رحلة روحية مباركة، وتكون فيها حركة الروح قبل حركة البدن.²

وهذا الركن المقدس ناله أيضا تضييقات وممانعات من طرف سلطات الاحتلال،

وأصدرت قرار في 10/ديسمبر / 1894 ينظم شؤون الحج، ويفرض قيودا على فريضة الحج، ولكن رغم ذلك لم يتسبب في منع تنامي ظاهرة الحج السري.³

4/الأعياد الدينية:

يمثل عيدي الفطر والأضحى العيدين اللذين يحتفل بهما الجزائريين، حيث تحتل الأعياد الدينية مكانة مميزة في المجتمع الجزائري، فهما يمثلان مناسبة اجتماعية كبرى يحتفل بيها لمدة أيام متتالية.

أ_ عيد الفطر:

تنطلق الاحتفالات بعيد الفطر بعد أن تتم وتثبت رؤية الهلال شرعيا، فيخرج الناس زكاتهم أي زكاة الفطر،⁴ وفي اليوم الأول من العيد يذهب الناس لأداء صلاة العيد بالمساجد، وبعد الانتهاء من الصلاة فإن الإمام يحثهم في خطبته على اتقاء الله وشكره وتطبيق تعاليمه، واعدًا إياهم بالخير في الدنيا وتوبة الله في الآخرة، ثم تنطلق الزيارات،⁵ والتغافر بين الأقارب، فإذا

¹ أبو العيد دودو: الجزائر في مذكرات الرحالة الألمان 1830-1855م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص68.

² هواري قبايلي: المرجع السابق، ص23.

³ المرجع نفسه، ص466.

⁴ أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص70.

⁵ نجاة بلعجال: المرجع السابق، ص71.

زار أحدا من أي شخص من أقاربه قدم له الحلويات مثل الكعك والمقروض وغيرها مصحوبة بالشاي والقهوة، ويرتدي الأهالي في أيام العيد الثلاثة أجمل ملابسهم التي يمتلكونها.¹

ب_ عيد الأضحى:

يتزامن عيد الأضحى المبارك والذي يعد أحد أهم مظاهر الحياة الدينية في الجزائر مع اليوم العاشر من ذي الحجة، واليوم الذي يسبقه هو يوم عرفة، فيصومه الكثير من الجزائريين، ويتم في هذا العيد ذبح الخرفان وأكل لحومها بصفة فردية وجماعية، ويشبه هذا العيد بعيد الفصح لدى اليهود، فيُحي الجزائريين والمسلمون عامة هذه المناسبة إجلالاً لذكرى تضحية إبراهيم عليه السلام بالخروف بدل ابنه إسماعيل تقرباً من الله تعالى، وتتشابه طقوس احتفال الجزائريين بهذا العيد بطقوس الاحتفال بعيد الفطر من خلال الزيارات وارتداء الألبسة الجديدة والتسامح بين الناس.²

5/ ذكرى عاشوراء:

يُحي الجزائريين في اليوم العاشر من محرم من كل عام ذكرى عاشوراء، فبالإضافة إلى الزكاة والتصدق على الفقراء والمحتاجين، يتصدق الجزائريين على الزوايا والمرابطين في مختلف مناطق الجزائر نظراً للمكانة الكبيرة التي تحتلها هذه المناسبة في نفوس الجزائريين وتبرز مدى تمسكهم بعقيدتهم الإسلامية، ومدى حرصهم على أداء واجباتهم وفرائضهم الدينية، فكل البالغين يصومون هذا اليوم تقريباً تقرباً من الله³ كما أن لهذه المناسبة خصوصية اجتماعية، وهي أن يتم ذبح المواشي لتضفي نوعاً من البهجة والفرحة،⁴ والتضامن مع الفقراء كما تقام في هذه المناسبة صلاة الجماعة وقراءة القران، وهو دليل قطعي على مدى تمسك الجزائريين بمعتقدهم الإسلامي، ولا يريدون عنه بديلاً، وتهدم في الوقت ذاته الجهود التصيرية التي تكاثفت في هذه الفترة.⁵

¹ نجاة بلعجال: المرجع السابق، ص72.

² سعدي مزيان: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871_1914م)، دار سيدي

الخير للكتاب، ج2، ص83.

³ المرجع نفسه، ص83.

⁴ نجاة بلعجال: المرجع السابق، ص73.

⁵ سعدي: المرجع السابق، ص83.

6/الختان:

يعتبرالختان إحدى ابرز مظاهر وملاحح الحياة الدينية للجزائريين وأحد أهم الشعائر التي يحرص الجزائريين على تطبيقها، فهو من الأمور المستنبطة من الدين الإسلامي الحنيف التي حرص على تطبيقها رغم تدخل الإدارة الفرنسية في أمور الدين الإسلامي، فهي عملية واجبة على المسلمين، فتعد وسيلة للطهارة والابتعاد عن عالم النساء فالطفل الذي تجرى له عملية الختان يخرج من عالم النساء الذي كان يحي في وسطه، ليندمج في عالم الرجال، وهي تعتبر بمثابة ازدياد ثاني للطفل، ويقال أنها تكوين للرجل، وتقام احتفالاً بهذه المناسبة الكبيرة.¹

ثانيا/الممارسات الدينية اليهودية:

تنوعت الشعائر والممارسات الدينية لطائفة يهود الجزائر في الفترة الاستعمارية، فلقد حرص اليهود كغيرهم من أفراد المجتمع الجزائري على الاحتفال بالأعياد والمناسبات لما في ذلك من دور في إبراز الذات اليهودية، وإبراز الخصوصية لطائفتهم بما تمثله هذه العبادات والاحتفالات من غنى ديني وحضاري، ويمكن أن نذكر في هذا الصدد أهم العبادات والأعياد اليهودية وأقدسها:²

1/العبادات اليهودية:

أ_الصلاة اليهودية:

تعد الصلاة واجبة على كل يهودي لأنها بديل للقربان، والذي كان يقدم للرب أيام الهيكل وعلى اليهودي أن يداوم على الصلوات الواجبة عليه، فهي ثلاث في كل يوم وهي صلاة الفجر، وصلاة نصف النهار، وصلاة المساء، ويجب على اليهودي أن يغسل يده قبل الصلاة وان يقوم بتغطية رأسه، وفي كل صلاة تتجلى نفس الدعوات والبركات تقريبا، ثم يعقب ذلك قراءة أسفار موسى الخمسة في أيام معينة من الأسبوع كما تقرأ البركات والدعوات، والصلاة اليهودية تكون على نوعين فردية وارتجالية تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس وأخرى مشتركة، وهي صلوات تؤدي ب اشتراك عشرة أشخاص على الأقل

¹ سعدي: المرجع السابق، ص85.

² غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، القاهرة، دار الجليل للنشر، 1994، ص60.

يطلق عليها اصطلاحا المنيان، ويردد الصلوات كل المشتركين في الصلاة إلا أجزاء قليلة يرددها القائد بمفرده.¹

2/الصوم:

يصوم اليهود عدة أيام متفرقة من السنة، وأهمها صوم يوم الغفران حيث يتمتع اليهود عن الأكل والشرب وارتداء الأحذية لمدة 25 ساعة، من غروب الشمس في اليوم السابع حتى غروب الشمس في يوم الغفران، بينما تستغرق أيام الصوم الأخرى من الشروق إلى الغروب، ولا تتضمن كل المحرمات مثل تحريم ارتداء الأحذية، ويصوم اليهود أيام إضافية و تكون أيام الاثنين والخميس، لأنها الأيام التي تقرأ فيها التوراة في المعبد، ويصوم اليهود أيضا أياما أخرى مرتبطة بأحزانهم القديمة مثل صوم يوم خراب الهيكل ويوم 17 جويلية وهو يوم دخول الرومان لأورشليم.²

3/الأعياد الدينية اليهودية:

1- عيد الغفران :

يعرف هذا العيد بيوم كيبور بالعبرية ويعتبر أهم حدث واحتفال ديني مارسه يهود الجزائر على الإطلاق، ويعرف هذا العيد بسبت الأسبات، ويبدأ الاحتفال به قبل غروب شمس اليوم التاسع من تشرين ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم الذي يليه أي حوالي 25 ساعة ويصوم اليهود خلاله ليلا ونهارا، ولا يقومون بأي عمل سوى التعبد، والصلوات التي تقام في هذا العيد تعتبر أطول صلوات العيد عموما، وتبدأ مراسم الاحتفال في المعبد بتلاوة صلاة النذور ويختتم الاحتفال في اليوم الموالي بصلاة النعילה التي تعلن أن السماء أغلقت أبوابها ثم ينفخ في البوق الشوفار بعد ذلك.³

ب_ عيد الفصح :

بيساح هو الاسم العبري لعيد الفصح اليهودي، وهو عيد خبز الفطير وموسم الحج لدى اليهود والعيد الذي يقوم خلاله اليهود بالتضحية بشاه أو جمل أو جدي أو ماعز ، ويسمى أيضا عيد الفصح أي الفرج بعد الضيق وأيضا العبور أو المرور أو التخطي نسبة إلى عبور

¹ غازي السعدي: المرجع السابق، ص61.

² المرجع نفسه، ص63.

³ Jean Pierre:« Message apporté le demanche», p15. الموقع الالكتروني :www.Apw.org يوم 21/04/2027 على الساعة 19:25

العبرانيون دون المساس بهم ونسبة إلى عبور موسى عليه السلام البحر وهذا من ناحية المغزى التاريخي لهذا العيد، أما إذا نظرنا إلى معناه الطبيعي فإننا نجد أن عيد الفصح اليهودي هو عيد الربيع عند اليهود، ويكون العبور من الشتاء وحلول الربيع محله عاد الخميرة من البيوت،¹ ويحتفل في هذا العيد بذكرى نجاة بني إسرائيل من العبودية في مصر ورحيلهم عنها، كما يحتفل في الوقت ذاته بمجيء الربيع وهذا يبرز ميلاد الشعب بالخروج من مصر²، ويصاحب هذا الاحتفال طقوس غريبة يمارسها اليهود عموماً والجزائريين كإبعاد الخميرة من البيت اليهودي، وأكل خبز لا يحتوي على خميرة ولا ملح، ويعتبر من يأكل الخبز المحمر في هذا اليوم كمن فصل نفسه عن دينه اليهودي بشكل كلي، وأكل بعض المأكولات الكريهة عن النفس.³

ج- عيد رأس السنة اليهودية: من المناسبات التي حرص يهود الجزائر على الاحتفال بها أثناء الفترة الممتدة بين (1830_1900م) يتم الاحتفال بهذا العيد في أول وثاني أيلول، وبالرغم من أن عيد رأس السنة اليهودية ليس له ذكرى تاريخية معينة ولا يصنف الأهم مقارنة بالأعياد اليهودية الأخرى، إلا أنه اكتسب دلالة وأهمية دينية وقدسية، فقد ذكر أن في هذه اليوم بدا الله تعالى خلق العالم وعلى اليهودي في هذا اليوم أن يبدأ محاسبة نفسه على ما أتاه من ذنوب طوال العام، ومن المميزات التي تميز هذا اليوم هو كونه أول أيام التكفير التي يبلغ عددها عشرة وتنتهي بأقدس يوم لدى اليهود وهو يوم الغفران لو ما يعرف بيوم كيبور، ويحي اليهود بعضهم البعض في هذه المناسبة بقولهم فليكتب اسمك هذا العام في سجل الحياة السعيدة ويرتبط بكثير من التقاليد اليهودية في هذا العيد، فتجهز أطباق من الأكل ذات دلالة معينة كالخبز والتفاح المغموس في العسل وتتلّى صلوات تعبر عن الأمل.⁴

ومن الممارسات الدينية الأخرى المفروضة على اليهود عموماً واليهود الجزائريين بخصوص والتي واطبوا على ممارستها والحفاظ عليها هي قدسية يوم السبت التي تعد فرض من فرائض التوراة والتي تميز اليهود عن غيرهم من الطوائف، فيلقبوا بأصحاب السبت، ويعتبر المحافظة

¹ محمد الأمين ولد آن: النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين 422هـ-539هـ-1030م-1141م،

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، وهران، جامعة وهران، 2013، ص121.

² المرجع نفسه، ص122.

³ نفسه، ص122.

⁴ غازي السعدي: المرجع السابق، ص52.

على حرمة السبت من وصايا اليهودية العشرة، ومن يخالفها معرضاً لعقوبات صارمة من هنا يبرز الأهمية الكبيرة ليوم السبت لدى طائفة اليهود الجزائريين.¹
 إن ما نلاحظه فيما يخص احتفالات الطائفة اليهودية هي طغيان الدلالات التاريخية التي تجعل من هذه الأعياد والمناسبات ليست دينية خالصة، ذلك أن أغلب الأعياد الدينية تخلد أحداثاً تاريخية قديمة حدثت لليهود في مناطق مختلفة من العالم، إضافة إلى طغيان الممارسات الغربية على مظاهر الحياة الدينية لليهود، وتبرز الغرابة في الطقوس التي يقوم بها اليهود للاحتفال في مختلف مناسباتهم وأعيادهم.

ثالثاً/الشعائر المسيحية:

كان للطائفة المسيحية بالجزائر حضورها الديني القوي الذي ميزها، فاحتفل المسيحيون الفرنسيون بمناسباتهم الدينية وبممارسة شعائرهم وأرقفوها باحتفالات أبرزت تلك الحرية الكبيرة التي كانوا يتمتعون بها مقارنة مع المسلمين ويمكن أن نبرز أهم العبادات المسيحية والأعياد الدينية كالتالي:

1/الصلوات المسيحية:

تعتبر الصلاة المسيحية إحدى أهم الفرائض في العقيدة المسيحية و أبرز ما يميز حياة المسيحيين الفرنسيين الدينية، وهي متكونة من سبعة صلوات وهي:
 _ صلاة باكر: وتكون في الصباح من خلال تقديم الشكر لله.
 _ صلاة الساعة الثالثة: وتكون للتذكرة بثلاثة أحداث مهمة وهي محاكمة المسيح، وصعود المسيح إلى السموات، وحلول الروح القدس.
 _ صلاة الساعة السادسة: وهي الساعة التي صلب فيها المسيح عليه السلام.
 _ صلاة الساعة التاسعة: وهي الساعة التي مات فيها المسيح.²
 _ صلاة الحادية عشر: وهي ساعة إنزال جسد المسيح من على الصليب
 _ صلاة النوم: وهي صلاة تذكر بدفن المسيح.

¹ غازي السعدي: المرجع السابق، ص53.

² هبة درويش: المرجع السابق، ص154.

2/الصوم:

يقصد بالصوم لدى المسيحيين هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ويتعمد المسيحيين في هذا اليوم تناول طعام خال من الدسم، ومواسم الصيام لدى المسيحيين هي كالاتي:

يوم الأربعاء لأنه يوافق يوم مؤامرة القبض على المسيح.

صوم يوم الجمعة لأن المسيح حسب الاعتقاد المسيحي صلب يوم الجمعة.

صوم يوم الميلاد: وعدد أيامه 43 تنتهي بيوم عيد الميلاد.¹

الصوم المقدس: وتبلغ عدد أيامه 55 يوم وهي تشمل الأربعين يوم التي صامها المسيح، استعدادا لأسبوع للآلام.

ويحرم المسيحيين في هذه الأيام التي يصومونها أكل الحيوانات أو ما يتولد منها ويقتصر طعامهم على أكل البقول.²

3/الأعياد الدينية المسيحية:

تعتبر الأعياد من مظاهر الحياة الدينية السعيدة التي يحتفل بها المسيحيون لاستعادة

الذكريات الخاصة بهذه الطائفة ويحتفلون بكل مناسبة لاسترجاع أحداث معينة فيها، ولهذا وجد

المسيحيين الفرنسيين في تراثهم الديني الغني بالأحداث مناسبات لاسترجاع وإحياء هذه

الأحداث، وربط أجيالهم الجديدة برموزهم الدينية، ومن أهم هذه الأعياد:

أ_ عيد القيامة:

وهو العيد الذي يعد من أبرز وأهم الاحتفالات المسيحية الدينية، وهو اليوم الذي يحتفل به

المسيحيين تعبيرا عن قيامة المسيح من بين الأموات يوم 25 مارس، وتقوم الكنيسة بالعديد من

الاحتفاليات في هذا اليوم كإعادة تمثيل قصة موت المسيح وقيامته من بين الأموات، ويعتقد أن

المسيحيين في هذه المناسبة أن المسيح عليه السلام تألم لينالوا الخلاص، لذلك تقام الاحتفالات

معتقدين أن موته جلب الخلاص والأفراح للبشر، ويقال أن بعد قيامه صعد إلى السماء ويسبق

هذا العيد الصوم الكبير الذي يدوم أربعين يوم قبل احد الفصح.³

¹ محمد عزت الطهطاوي: في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام، ص87.

² المرجع نفسه، ص87.

³ محمد بن الطاهر التتير البيروتي:العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرفاوي، القاهرة، دار الصحوة

للنشر، ص161.

ب- عيد الميلاد:

ويسمى الكريسماس يتزامن هذا العيد مع 25 ديسمبر من كل عام عند المسيحيين، ويعود تاريخ الاحتفال به لأزمنة تاريخية قديمة، ويحتفل المسيحيين به لتجديد ذكرى مولد المسيح عليه السلام، ولهذا العيد طقوس وشعائر وعبادات دأب الفرنسيون والمسيحيون عموماً على القيام بها حيث يذهبون للكنيسة وقيمون الصلوات الخاصة بهذا الاحتفال، ويصل الاحتفال بهذا العيد ذروته منتصف الليل، حيث تزين الكنائس وتغنى أغاني خاصة بالميلاد.¹

ج- عيد القديسين:

يصادف هذا الحدث يوم 11 نوفمبر وهو اليوم الذي يكرم فيه جميع القديسين في الكنيسة، وأكثر من يحتفل به طائفة الكاثوليك^{2,3}.

إن أتباع الطائفة المسيحية في الجزائر ورغم حضورهم الضعيف مقارنة بالأهالي، حضوا بدعم حكومي فرنسي منقطع النظير سواء على الصعيد الرسمي من خلال مجموع التسهيلات التي تعمدت الإدارة الكولونيالية توفيرها ولو على حساب الأهالي المسلمين، فرعت فرنسا جميع الاحتفالات والمناسبات التي تخص المسيحيين، أو من خلال تعمدتها تغذية تلك الروح المسيحية المتعصبة لدى المستوطنين الذين لم يتوانوا في إبراز حقدهم الديني ضد الأهالي.

المبحث الثاني: القضاء الإسلامي والتعليم الديني:

أولاً/القضاء الإسلامي:

كانت السلطة القضائية بالجزائر خلال الحكم العثماني مكونة من محكمتين يشرف عليها قاضيان ومفتيان، أحدهما مالكي والآخر حنفي، وهذه السلطة التشريعية تنتظر في القضايا الإجرامية والتأديبية والجنائية، والمدنية والحكومية، وكذلك في الخلافات التي قد تقع بين رئيس

¹ إبراهيم بن محمد الحقييل: أعياد الكفار وموقف المسلمين منها، مصر، ط2، 2000، ص ص: 42_43.

² الكاثوليكية: تعد أكبر الطوائف المسيحية تنسب إلى الكنيسة الرومانية، وتسمى الرسولية نسبة إلى بطرس الرسول. ينظر:

نهاد خياطة: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوتل، ص ص: 69_81.

³ إبراهيم بن محمد الحقييل: المرجع السابق، ص43.

الدولة وأي شخص آخر، وهذه المحاكم مستقلة عن السلطان¹ ويطلق عليها أيضا اسم "دي بارادي" المجلس الشريف²، فكانت الأحكام التي تصدرها لا رجعة فيها³.
 أما في الفترة الاستعمارية بدأت السلطة الفرنسية التدخل في القضاء الإسلامي ومحاكمته، فقد أصدرت في 10 أوت 1834م مرسوم ملكي يعطى للقضاة المسلمين الحق في الحكم في الأمور الجنائية والتجارية والمدنية بشرط احتفاظهم بالسجلات ووثائق الأحكام⁴.
 ولقد وضعت الأسس الأولى لتنظيم القضاء الفرنسي بالجزائر في شكل مراسيم ملكية بتاريخ 28 فيفري 1841م، و16 سبتمبر 1842م، إذ تعتبر هذه المراسيم بداية تنظيم القضاء على أساس الاختلاط بالقضاء الفرنسي، وقد خصت الجزائر منذ ذلك التاريخ بمؤسسات قضائية فرنسية⁵ كمحاكم من الدرجة الأولى (الابتدائية)، وأخرى جماعية ومحكمة الاستئناف الملكية بالجزائر...⁶ و كلفت لهذه المحاكم صلاحيات النظر في القضايا التي تخص فئات سكانية في الجزائر، وأيضا النظر في جميع الجرائم والجنح، ويكون النطق فيها بأحكام القانون الجزائري الفرنسي، في حين ألغي تماما القانون الإسلامي الجنائي والمعمول به،⁷ بحيث أصبح تعيين القضاة المسلمين أمر يتم من طرف الحاكم العام، مما أدى إلى إفقادهم صلاحية النطق بالأحكام، وأيضا كان لمحكمة الاستئناف في الجزائر فوق هذه الصلاحيات مهمة النظر في الأحكام المتعلقة بالقضايا المدنية، فقد تغيرت التقاليد القضائية بدءاً من تغير الإجراءات المتخذة في أي قضية و انتهاءً إلى التحول الكبير في طبيعة المحاكمات وطبيعة الأحكام النهائية في أية قضية التي تسيّر وفقاً لتعاليم التشريع الإسلامي⁸.

وفي عهد الجمهورية الثانية 1848م صدر قرار تنظيم القضاء في ما يسمى بالمقاطعات المدنية، وكذلك صدر عن الحاكم العام قرار في 29 يوليو 1848م أيضا أعاد تشكيل المجلس

¹ حمدان خوجة: المصدر السابق، ص72.

² صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، (814 ق م، 1962)، عناية، دار العلوم، 2003م، ص119.

³ حمدان خوجة: المصدر السابق، ص72.

⁴ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830_1954)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج4، 1998، ص427.

⁵ شارل روبيير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ج1، ص378.

⁶ أحمد توفيق المدرسي: كتاب الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963، ص277.

⁷ شارل روبيير أجرون: المرجع السابق، ص378.

⁸ المرجع نفسه، ص378.

العلمي الذي يعتبره الفرنسيون نوعا من المحكمة العليا الإسلامية، ومس القرار أيضا إعادة ترتيب محاكم القضاة على المذهبين المالكي والحنفي،¹ كما ظهر قرار آخر في نفس الوقت حيث أنشأ الحاكم العام منصبا جديدا في المحاكم الإسلامية، وهو منصب الوكيل وكلف بمهمة مساعدة المتخاصمين والدفاع عنهم مجانا، وهو نوع من التدخل الفرنسي المباشر في تسيير شؤون المحاكم الإسلامية.²

وأيا في عهدا تطور النظام القضائي الإدماجي الأول إلى ازدواجية تشريعية، إحداها خاصة بالمسلمين وأخرى خاصة بالأوروبيين، فوضعت الأولى تحت سلطة وزارة الحرب، والثانية تحت سيطرة الحاكم العام في عهد الإمبراطورية الثانية.³

وأصبح بذلك النظام القضائي يخدم الإدارة الاستعمارية الجديدة من خلال الأفكار التي تبناها نابليون الثالث (Napoléon)⁴ في إطار السياسة المعروفة (بالمملكة العربية)⁵ لخدمة المجتمع الجزائري المسلم⁶، ومحاولة الإمبراطورية التوفيق بين النظامين العسكري والمدني وإيجاد منظومة تشريعية تضمن حقوق مختلف فئات السكان والسماح للجزائريين بالتقاضي في المحاكم

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص432.

² المرجع نفسه، ص432.

³ محمد بليل: تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين (1914/1881م)، الجزائر، دار سنجاق الدين للكتاب، 2013م، ص67.

⁴ نابليون الثالث (لويس نابليون): (1808_1873) ابن شقيق نابليون بونابرت انتخب سنة 1848 كرئيس للجمهورية في فرنسا، أدى اليمين الدستوري سنة 1850، أيد بريطانيا وتركيا في حرب القرم سنة 1854م ضد روسيا، حضر افتتاح قناة السويس عام 1869، استسلم في حرب 1870 ضد بروسيا في معركة سيدان وبذلك سقطت الإمبراطورية، اعتزل السياسة وعاش في إنجلترا وتوفي بها سنة 1873. ينظر: كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور (1850_1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسنطينة، 2008، ص34.

⁵ المملكة العربية: تعبير ظهر في الستينات من القرن الماضي ويقصد به جعل الجزائر مملكة عربية وتنصيب الأمير عبد القادر ملكا عليها نائبا عن نابليون الثالث (إمبراطور الفرنسيين)، ولكن الأمير لم يقبل بالفكرة، وتغلب خصوم المملكة العربية في النهاية، وانتهت الفكرة بسقوط نابليون في حرب السبعين مع ألمانيا ثم وفاة الأمير عبد القادر سنة 1883. ينظر: سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1860_1900)، الجزائر، دار الرائد، ج1، 2009، ص11.

⁶ بسام العسلي: الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص57.

الفرنسية.¹ وكلفت الإمبراطورية المكاتب العربية² لفرض الأمن، والفصل في جميع ما يعرض عليهم من قضايا وبالخصوص قضايا الأحوال الشخصية.³

وفي أكتوبر عام 1854م صدر مرسوم في عهد الحاكم العام راندون "Randon"⁴: منح الاستقلالية تامة للعدالة الإسلامية في المجال المدني، وألغى الطعن في أحكام القضاة المسلمين أمام محكمة الاستئناف، وجرّد المدعي العام الفرنسي من سلطة إدارة ومراقبة جهاز العدالة الإسلامية، فأصبح هذا الأمر من اختصاص الولاية في مناطق الحكم المدني، وجنرالات الجيش في مناطق الحكم العسكري داخل العملات الثلاث، وتم بموجبه تقسيم البلاد إلى 326 دائرة قضائية تمثل كل واحدة مجال اختصاص محكمة مشكلة على الأقل من قاض وعدليين اثنين، وتعتبر أحكامها نهائية في ما يتعلق بالقضايا المدنية التي لا تزيد قيمتها عن مائتي فرنك.⁵

كما يكون عدد من الدوائر القضائية نطاق دائرة اختصاص محكمة استئناف تسمى "المجلس" الذي يتشكل من أربعة مفتين وقضاة أو علماء وعدليين اثنين⁶، وقد بلغ عدد هذه المجالس واحدا وعشرين مجلسا على مستوى الجزائر، أما أحكام هذه المجالس فهي نهائية، أي غير قابلة للطعن.⁷

¹ محمد بليل: المرجع السابق، ص 67.

² عرف فرديناند "هيقونيت" أحد رؤساء تلك المكاتب: المكتب العربي بقوله: المكتب العربي هو حلقة وصل ما بين الجنس الأوربي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830م، والجنس الأهلي الذي يقطن في البلاد من قبل ولا يزال إلى الآن... وتتخلص أهدافه في: التمكين للاستعمار والعمل على إخضاع القبائل للسلطة الاستعمارية، ومراقبة تحركات القبائل وحراسة المشبوه منهم، ومراقبة الزوايا... ينظر: صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844_1871م)، عناية، منشورات باجي مختار، 2006، ص 19.

³ صالح فركوس: المرجع نفسه، ص 126.

⁴ راندون: اسمه الكامل هو الكونت جون لويس سيزار ألكسندر راندون، وهو الحاكم العام للجزائر بين سنتي (1851.1858)، ولد في مدينة كرونويل، التحق إلى رتبة ملازم أول ثم قاد سرب في 1830م وعين ماريشال فرنسا سنة 1856م، ينتمي إلى عائلة بروتوستانية. ينظر: بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830.1854)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، ص 13.

⁵ رمضان بورغدة: «جوانب من تطور السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة (1830/1892م)»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قالمة، الجزائر، ع4، ص 10، نقلا عن :

Collot Claude: *Les Instutions de L'algerie durant La periode coloniale (1830_1962)*, edition CNRS Alger, 1987, p179

⁶ المقال نفسه، ص 10، نقلا عن Collot Claude: OP, Cit, p179

⁷ نفسه، ص 10.

وأخيرا تم إنشاء مجلس الاجتهاد القضائي متكون من مفتين وقضاة كانوا ملزمين بالتشاور في مسائل الشريعة الإسلامية التي تعرض عليهم من أجل استنباط الأحكام التي تتلاءم معها.¹ وفيما يتعلق بهيئة الدفاع، فقد استحدث المشروع الفرنسي منصب الوكيل المسلم (محامي) يحق له وحده تمثيل أطراف الدعوى أمام المحاكم الإسلامية.²

ولقد ترك المشروع الفرنسي للمحاكم الإسلامية اختصاص النظر في القضايا المدنية والتجارية وفي المخالفات التي لا تدخل ضمن اختصاص قانون العقوبات الفرنسي، وتصدر أحكامها دون نفقات، بينما قضاتها فيتم تعيينهم من قبل الحاكم العام، وفق شروط محددة بصفتهم قضاة وموثقين في الوقت نفسه حيث يقومون بمهمتهم مقابل أجور محددة تدفعها لهم الإدارة الفرنسية.³

ويعتبر هذا خير ضمان لمصالح المتقاضين، وكذا تمكن الإدارة من إخضاع القضاة إلى رقابة حقيقية.⁴

يعتبر صدور قرار 31 ديسمبر 1859م لتكريس صلاحية المحاكم الفرنسية وحدها في استئناف الأحكام التي يصدرها القضاة، وذلك ما حول المجالس إلى مجرد هيئات للاستشارة وإبداء الرأي، كما أسندت مهمة مراقبة القضاة إلى المحاكم الفرنسية، وأصبح يحق للمسلمين أن يختاروا التقاضي بموجب تدابير التشريع والعدالة الفرنسية.⁵

وهكذا فإن المسلمين الذين اختاروا التقاضي لدى أجهزة العدالة الفرنسية كانوا يتقاضون في الدرجة الأولى بواسطة القاضي المسلم الذي يصدر الأحكام وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية، وعند الاستئناف ترفع القضايا حسب درجة أهميتها لنظر المحاكم المدنية في الدرجة الأولى أو لنظر محكمة الاستئناف، وفي كلتا الحالتين فإن المحاكم تعقد جلساتها في غرف خاصة تتكون من فرنسيين ومسلمين يصدرون أحكامهم بصفة مشتركة وموحدة، وكانت هذه المحاكم المختلطة

¹ شارل روبيير أجرون: المرجع السابق، ص381.

² المرجع نفسه، ص381.

³ رمضان بورغدة: المقال السابق، ص11. نقلا عن: Collot: OP, Cit, p179

⁴ المقال نفسه، ص12.

⁵ بسام العسلي: محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، بيروت، دار النفائس، 2010م، ص59.

تتظر في طلبات الاستئناف المتعلقة بالأحكام التي أصدرها القضاة المسلمون، والتي يمكن أن تتم المداولة بشأنها في المجالس الاستشارية.¹

وفيما يتعلق بالأحكام فقد أوكل في جميع الحالات إلى القاضي المسلم بما في ذلك القضايا التي تم النطق فيها بأحكام مستأنفة في المحاكم الفرنسية، وللحسم في القضايا المرتبطة مباشرة بالتأويل في التشريع الإسلامي، فقد تم تأسيس مجلس أعلى للشريعة الإسلامية يتشكل من خمسة علماء، وتكون استشارته إجبارية في حالة النظر في الأحكام المستأنفة، غير أن ذلك لا ينجر عنه أي أثر على موضوع الأحكام النهائية الصادرة عن الغرفة المشتركة.²

و لكن ألغي هذا المجلس في عهد الجمهورية الثالثة سنة 1875م، كما تم إلغاء أيضا مرسوم 1873م الذي ينص على حق القضاة المسلمين النظر في قضايا الاستحقاق والملكية.³

ومع مراعاة لمقتضيات مرحلة الحكم المدني عمل الحاكم العام الفرنسي في الجزائر على تطبيق رغبات جهة واحدة من رغبات الأعوان الفرنسيين، والمتمثلة في إنشاء محكمة مختلطة يكون فيها القاضي المسلم رئيسا ومعه مساعده مسلمون تخول لهم سلطة استشارية.⁴

وعلى الرغم من هذا لم يقتنع دي غيدون "De Gueydon" وظل مترددا في أمره هذا نتيجة معارضة جميع الجهات الموالية لفرنسا لهذا القرار بحجة غباوة القضاة المسلمين واستبدالهم بقضاة فرنسيين، وما لبث هذا التوجه أن تعزز وذلك بعد أن تحققت له بعض المكاسب منذ 1873م، ومن بينها أولى النتائج المترتبة عن صدور القانون العقاري سنة 1873م⁶، استثناء النظر في النزاعات العقارية من صلاحيات القضاة المسلمين، حيث أن تأسيس الملكية و

¹Abdelmadjd Belkherroub: *La naissance et la reconnaissance de la republique algérienne*, alger, édition, ENAG, 2008, p22.

² شارل روبيير أجرون: المرجع السابق، ص338.

³ سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير، 1962/1830م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2007م، ص74.

⁴ شارل روبيير أجرون: المرجع السابق، ص384.

⁵ دي غيدون (1809_1886): هو لويس هنري كونت دي غيدون ولد في غرانفيل في 22نوفمبر 1809م من عائلة نبيلة من أصل ايطالي أصبح حاكم مدني للجزائر في 29 مارس 1871م، توفي في 01 ديسمبر 1886م. ينظر: أسماء عوادي: *قانون كريميو 24 أكتوبر 1870م وردود الفعل المختلفة*، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الوادي، 2016، ص37.

⁶ Pensa Henri: *Algérie organisation politique et administrative justice sécurité instruction publique travaux publics*, paris, 1894, p39

التعاقد على الاحتفاظ بها أو انتقالها من شخص إلى آخر كانت محددة بدقة في القوانين الفرنسية ولهذا يصبح النظر في القضايا المتعلقة بتنازع الملكيات من صلاحيات المحاكم الفرنسية.¹

وتم كذلك في هاته الفترة (الحكم المدني) بداية العمل باللجان التأديبية، حيث تم إنشاء جهات قضائية جزائية خاصة بالأهالي وذلك بموجب مرسوم 29 أوت 1874م ومرسوم 11 سبتمبر 1874م المنشئين لجرائم الأهالي بموجب قرارات من عمال العمالات، وتعاقب هذه الجرائم بعقوبة أقصاها خمسة أيام حبس وغرامة أقصاها 15 فرنك قديم، وهي عقوبة مجاورة للعقوبات المقررة للمخالفات المماثلة في القانون الفرنسي، ويتم الفصل فيها من طرف محكمة المخالفات دون استئناف خروجاً عن القاعدة العامة.²

كما تم في هذه الفترة إصدار قرار 14/02/1874م والذي خول للرواد (الكومندوات) الدوائر العسكرية سلطة معاقبة الأهالي بصورة مباشرة على المخالفات التي يرتكبونها مع ترك الحرية الكاملة للرائد العسكري في تقدير المخالفة و عقوباتها والتي حددت حسب رتب الكومندان ومواضعها العسكرية، وتم العمل بهذا التنظيم إلى أن تطور بموجب قانون 28 جوان 1881م وأصبح يعرف بقانون الأنديجينا³ الذي مدد به العمل لعدة سنوات.⁴

وقد أصبح قاضي الصلح بناء عن قرار 1889 هو الذي يصدر الأحكام في قضايا المسلمين ولم يحل آخر القرن 1892 حتى صدر قرار جديد يجرّد القضاة المسلمين من كل صلاحية عدا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والتركات، و هذه لم تطبق على إطلاقها، فإذا حدث اختلاف في المستحق من التركات بين المتخاصمين فإن القضية تحول إلى القضاء الفرنسي وتخرج من اختصاص القضاة المسلمين.⁵

ولقد أوكلت الإدارة الاستعمارية مهمة لضباط المكاتب العربية تقتضي منهم مراقبة إدارة القضاء الإسلامي، كذلك الاطلاع على كل شيء يتعلق بالأهالي، فالقاضي إما أن يكون أحد

¹ Pensa Henri: OP, Cit, p39

² Ibid, p39.

³ قانون الأنديجينا: وهو مجموعة من القوانين القمعية والتعسفية التي مارسها السلطات الفرنسية ضد الجزائريين الذين رفضوا التخلي عن أحوالهم الشخصية مثل العقوبات الفردية. ينظر: صالح فركوس: تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، الجزائر، دار القافلة، ط1، ص ص: 511_512.

⁴ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 138.

⁵ سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 75.

موظفي المكتب أو خاضعا لمراقبته، وكلف قضاة المكاتب العربية بالفصل بالقضايا التي تتعلق بالأحوال الشخصية، ويفهم من ذلك أن القضاء الإسلامي ليس القضاء الذي يتحكم إليه المسلمون وفق أصوله وإنما القضاء الذي يرغب المستعمر تطبيقه وفق مصالحه.¹

وغالبا ما فشلت كل محاولات الضباط لبسط نفوذهم على الأهالي، وهذا ما أدى بهؤلاء الضباط بسعي بكل ما أتوا به من مجهودات قصد استقطاب القضاة الجزائريين، ومن أبرز هؤلاء قاضي مدينة قسنطينة محمد الشاذلي القسنطيني الذي أصبح قاضيا مالكيًا تحت وصاية إدارة الشؤون العربية،² فبدأت الشكوك تظهر من بعض الأهالي اتجاه حكمه، حيث صدر تقرير سنة 1848م يؤكد أنه متواطئ مع الفرنسيين جعله منبوذاً من مجتمعه.³

ومن جهة أخرى يوجد الكثير من القضاة ظلوا أوفياء لأمتهم ووطنهم،⁴ فعلى سبيل المثال المفتي ابن العنابي الذي حيكته ضده مؤامرة قرر على إثرها الجنرال كلوزيل (Clauzel) سجنه ثم نفيه،⁵ و في عام 1852م قاد به سي أحمد الصالح الخياري قبيلته للثورة في عنابة.⁶

و قد عملت السلطة الاستعمارية على تغيير إجراءات وطبيعة العقاب وأيضا المحاكمة، فقامت بإلغاء الحق في القصاص كما ألغى حق اكتفاء ولي الضحية بالدية،⁷ كما قامت بتطبيق فكرة العقوبات الجماعية والتي هي عكس قانون العقوبات الفرنسية، فاتخذت مبدأ القمع الجماعي، حيث بلغ عدد العقوبات التأديبية عام 1863 حوالي 31,694 غرامة، ثم أخذتها عن طريق رؤساء الأهالي، حيث قدرت مبالغها بـ 524,694 فرنكا.⁸

هكذا أصبح القضاء في كامل قطر البلاد سوى وسيلة من وسائل الاستعمارية لبسط الهيمنة الفرنسية في مختلف أنحاء البلاد.

¹ صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية، المرجع السابق، ص: 127، 128.

² سعد الله: محمد الشاذلي القسنطيني (1807_1877م)، الجزائر، 1974، ص: 21، 15.

³ صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية، المرجع السابق، ص: 132.

⁴ انظر الملحق رقم (4): (يمثل عريضة سكان مدينة الجزائر من أجل الدفاع عن حقوق القضاء الإسلامي)، ص: 117.

⁵ سعد الله: المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775_1850م)، الجزائر، 1977، ص: 33_34.

⁶ صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص: 135.

⁷ الدية هي حصول ولي الضحية على مقابل كتعويض ويختلف مبالغها باختلاف المنطقة و الطبقة. شارل روبير أجرون:

المرجع السابق، ص: 387.

⁸ صالح فركوس: إدارة المكاتب العربية، المرجع السابق، ص: 124.

ثانيا/التعليم الديني:

كانت وضعية التعليم في الجزائر جيدة قبيل التواجد الفرنسي لأن الجزائريين تقريبا يعرفون الكتابة و القراءة، إذ انتشرت المدارس في أغلبية القرى والدواوير، مما يؤكد المستوى التعليمي الذي كان سائدا في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي و الذي يعود الفضل فيه على الزوايا و الأفراد، كمساجد والزوايا... إلخ، والتي أدت دورا مهما في تاريخ الجزائر.¹

ولم يختلف التعليم في الجزائر عما كان عليه في المدارس الفرنسية وذلك بشهادة واعتراف العديد الكتاب الفرنسيين أنفسهم، حيث كانت مدن ومناطق الجزائر كجاية وقسنطينة وتلمسان ومازونة والجزائر العاصمة ووهران وعنابة وتيزي وزو أهم المراكز التعليمية في الجزائر، حيث بلغ عدد المدارس في قسنطينة قبل الاحتلال 80 مدرسة و 7 معاهد و 35مسجد وفي تيزي وزو التي كان بها عدد غير محدد من المدارس والزوايا يرتادها طلبة كثيرون كما هو الحال بالنسبة للمراكز التعليمية الأخرى في بقية الجهات الجزائرية، فجميع الوثائق المتوفرة عن الجزائر قبيل الاحتلال تشهد بأن الجزائر عاشت وضعا ثقافيا وتعليميا مزدهرا لكن بعد الاحتلال في سنة 1830 شهدت الجزائر وضعا تعليميا مغايرا.²

أولا/ التعليم الديني لدى المسلمين:

أ/التعليم في الكتاتيب القرآنية:

وما آل إليه تعليم القرآني في العهد الاستعماري، فمنذ أوائل الاحتلال رأوا الفرنسيون أنه تعليم قاعدي تتبني عليه الدراسات الإسلامية في البلاد وفي العالم الإسلامي كله، فإذا حاربوه أو منعهو ثارت عليهم نائرة السكان، فاتفقوا على إبقائه مع تجريده من مؤسساته في المدن، والتحكم في المؤدبين من الناحية المالية والفكرية، ومنعهم من تجاوز الحفظ إلى التفسير والتفهم، وبذلك أصبح حفظ القرآن نوعا من العبادة فقط كالصلاة التي لم يمنعها الفرنسيون أيضا ولكنه حفظ لا يقدم شيئا للمتعلم في الحياة إلا العقيدة في البركة.³

¹ مقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920.1945)، تيزي وزو، الأمل، ط2، 2012، ص54.

² ايفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، الجزائر، دار القصة، 2007م، ص135.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص 41.

وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون قائلاً: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاختصار على تعليم القرآن فقط و أخذهم أثناء المدرسة بالرسم ومسائله".¹
ولقد استمرت الطريقة العلمية القديمة في التعليم بالكتاتيب كسابقها، (ولقد أشرنا لها سابقاً في المبحث الثاني من الفصل الأول).

وما يمكن قوله بالرغم من أن هذه الطريقة التعليمية المتبعة في الكتاتيب قديمة إلا أننا لا ننكر مدى فعاليتها في شتى المجالات الخلقية والاجتماعية ومحو الأمية.
وكانت مدة الدراسة في الكتاتيب تستمر إلى خمس سنوات تقريباً إلا أن نظام التعليم الإسلامي لا يضمن للتلميذ مرحلة متوسطة أو مرحلة سابقة لمرحلة التعليم بالمسجد، وعلى التلميذ الراغب بعد تخرجه من الكتاب الاستمرار في التعليم أن يبحث لنفسه حلقة بالمسجد أو مقعداً بالمدارس تعده للدراسات المتقدمة غير أن أغلب التلاميذ يقع اختيارهم على حرفة أو صنعة.²

ولقد كان المنهج التعليمي موحداً في كل قطر الجزائري، فهو في كل الولايات بنفس النمط، فالمدرسة القرآنية في كل مكان ملاصقة للجامع في كل مدينة. وليس في ميزاب زوايا وعلى رأس كل مدرسة أحد العزابة فهو المدير والقائم بالتربية والتعليم³، إذن تقوم المدارس القرآنية بتعليم وتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة والرسم القرآني، إلى جانب التربية الدينية كعقائدية وحفظ بعض الأحاديث، وأداء الصلوات وحسن الأخلاق.
ب/التعليم بالمساجد:

بعد انتهاء الأطفال من المدرسة القرآنية يتوجه راغبون منهم إلى المساجد والزوايا لمواصلة تعليم متوسط وثانوي، وقد تصل بعض الدروس فيه إلى مستوى التعليم العالي في مراحل متقدمة.⁴

¹ مختارية تراري: «التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة»، مجلة إنسانيات، ع15/14، 2001م، ص66،57. الموقع:

URL : <http://insaniyat.revues.org/9664> DOI : 10.4000/insaniyat.9664

² المقال نفسه، ص66.

³ محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دمشق، ج1، 1965، ص212.

⁴ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص59.

لقد وضع الفرنسيون أيديهم على فئة العلماء والفقهاء الذين كانوا يدرسون مساجد، وبذلك لم يسمحوا باستئناف الدروس في المساجد إلا خلال الأربعينيات، ولكن في حدود ضيقة جدا، وفي سنة 1843م سمحوا لثلاثة فقط من الطلبة بإعطاء دروس في المساجد الثلاثة بمدينة الجزائر ولا تخرج هذه الدروس عن الفقه وقواعد الدين للعامّة وليس للراغبين في العلم، كما كان الحال.¹ أما عن برنامج الدراسة للتعليم الثانوي والعالي فلا يخرج عن المواد العربية والإسلامية فالثانوي يشمل عادة النحو والتفسير، وحفظ المتون والمطالعة ومبادئ الفقه والتوحيد، والحديث، ومبادئ الفلك والحساب، ويقضي التلميذ فيه حوالي سبع سنوات، وأما عن دروس التعليم العالي فتتألف من الفقه وأصول الدين والتوحيد والحديث والحساب والفلك والجغرافية والتاريخ الطبيعي والطب العام.

وفي سنة 1851م وقع تنظيم خاص للمساجد والمدرسين فيها، فقد رتبت المساجد إلى خمس درجات، ولم يختص بالتدريس إلا مساجد الدرجة الأولى فكان ستة فقط في كل القطر من الدرجة الأولى، ثلاثة في الجزائر العاصمة واثنان في قسنطينة وواحد في تلمسان، وقد سمي المدرس مفسرا للقرآن فقط.

فلم يعد تدريس اللغة والفقه والأدب جائز للمدرس، وإنما كان الفرنسيون هم الذين يختارون له موضوعات في الفقه وأخرى في التوحيد لا يخرج عنها وكان مرتب المدرس على حساب الدولة أما الموظفون الآخرون في المساجد فعلى حساب الميزانية المحلية والبلدية.² ومن أسماء المدرسين نجد في العاصمة مصطفى القديري،³ محمد الأرنؤوط⁴ وفي وهران الشيخ حريزي سي الحبيب البخاري،⁵ و الشيخ رحال منور الذي كان في عداد الطبقة الثانية من

¹ سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص59.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص64.

³ مصطفى القديري: المعروف بمصطفى بن أحمد، في سنة 1843م تولى وظيفة المفتي المالكي في الجامع الكبير بالعاصمة وكان وقتها كبير السن، ولم يكن معروفا بعلمه السابق ولا بوظائف أخرى، وكان الشيخ كما وصفته المصادر الفرنسية طوع بنان إدارة شؤون الأهلية. يُنظر: سعد الله: المرجع نفسه، ص73.

⁴ محمد الأرنؤوط: ولد بالجزائر سنة 1791م وتوفي سنة 1865م وهو من أصول عثمانية تولى عدة وظائف ومنها الإفتاء والتدريس بالعاصمة وتولى وظيفة القضاء. يُنظر: سعد الله: المرجع نفسه، ص74.

⁵ الشيخ حريزي سي الحبيب البخاري: من مواليد سنة 1830، واشتغل في تدريس في عمر 75 سنة بمدرسة الجامع الكبير، وكان راتبه سنويا 900 فرنك ولم يدرس في المدارس الرسمية الفرنسية واشتغل أيضا مساعدا في محكمة. يُنظر: سعد الله: المرجع نفسه، ص114.

المدرسين، وفي قسنطينة الشيخ مصطفى بن جلول مدرس بجامع سيدي الأخضر، الشيخ المكي البوطالي مدرسا بالجامع الكبير، الطاهر بن النقاد مدرسا بجامع سيدي الأخضر ومحمد بن أحمد العباسي مدرسا بجامع سيدي الكتاني، وغيرهم.¹

2/نظام التعليم بالزوايا:

لكي يلتحق طالب العلم بالزاوية يشترط عليه أن يكون لديه سيرة حسنة ورغبة قوية في التعليم مرفوقة بحفظ بعض القران الكريم وتكون طريقة التدريس من خلال تجمع الطلبة وحضور شيخ الزاوية ويقومون بتلاوة الفاتحة بمناسبة دخول الطالب الجديد فيدعون له بالخير والنجاح وعندما ينتمي أي طالب إلى زاوية يصبح من طلابها وينتسب إلى البلدة.²

فنظام الزاوية مفتوح لكل طلبة الراغبين في العلم ولا توجد حواجز متعلقة بالسن إضافة إلى أنه لا يوجد امتحان محدد وأيضا للطالب الحرية لمغادرة الزاوية في أي وقت والعودة إليها متى يريد، وتتيح الزاوية الفرصة إلى الطلبة والفقراء أو الذين أتوا من أماكن بعيدة بالحصول على مسكن في الزاوية والطعام وقد تكون الزاوية غير قادرة على توفير ذلك، وذلك راجع لكون إمكانية الزاوية تحدها المداخل والهدايا المقدمة من قبل الأشخاص.³

وكانت الزوايا الشهيرة بشيوخها تستقطب الطلبة من أماكن بعيدة، وفي أول مرة يدخل فيها الطالب مكان الدرس يجد الشيخ المدرس وحوله الطلبة في حلقات تامة أو نصف دائرية وكل مدرس يهتم بحلقة معينة ويناقش مسألة أو كتاب معين وإذا كان للطالب فكرة مسبقة وواضحة عن أي مدرس قبل أن يأتي للزاوية فإنه بعد ذلك يقصده ويجلس إلى حلقاته ويتابع دراسته للمواد التي يدرسها، أما إذا كان الطالب ليست لديه أي فكرة مسبقة عن المدرسين فإنه يحضر عدة حلقات لشيوخ مختلفين حتى يستقر حول شيخ واحد ومادة معينة.⁴

أما عن المنهج الدراسي المعتمد من قبل شيوخ الزوايا فإنه يعتمد على إلقاء الدروس ثلاثة مرات في اليوم والبعض يلقيها في الصباح فقط أو بعد الظهر ومرتين في نهار وقد يحدث أنه لا ينقطع المدرس عن التدريس طول النهار وبالمجمل فإن أغلب الدروس تلقى في الصباح وبعد صلاة العصر، ويرتبط الشيخ المدرس بطلابه بعلاقة وطيدة جدا فالشيخ هو الذي يقدم

¹ سعد الله: المرجع السابق، ص ص:73_74.

² مقران يسلي: الحركة الدينية والاصلاحية في منطقة القبائل، المرجع السابق، ص72.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص:324_334.

⁴ المرجع نفسه، ص348.

النصائح لتلاميذه حول كيفية القراءة والكتب التي وجب عليه أن يدرسها والطريقة التي يمكن¹ أن يحضر بها الطالب الدروس وبالمتون التي عليه أن يحفظها وكل ماله علاقة ببرنامج التدريس.

وكان لشيخ الزاوية دورا كبيرا في ترغيب طلبته في العلم أو العكس، فمدى سيطرة المدرس على مادته وحفظه فصاحة لسانه وقوة شخصيته وتقانيه في العلم، فكان يحدد بقاء الطلاب في هذه الزاوية أو غيرها فكثيرا ما غير العديد من طلبة زاويتهم بسبب وفاة شيخهم أو هجرته لهذه الزاوية فالرابطة الموجودة الطالب وشيخه قوية جدا فتصل أحيانا إلى أنها تغير مجرى حياة الطالب وتؤثر على مستقبله، ما يمكننا قوله بأن هذه الرابطة روحية بدرجة الأولى.²

وقد كانت الدروس التي تلقى في الزاوية كثيرة جدا ومتنوعة، فالذي يحدد نجاح الشيخ المدرس في أي مسألة يناقشها هي خوضه في جزئيات وتشعبه والإطالة في شرحها، وهذا ما يجعل الطلبة يسجلون الدرس كله إذا كان الشيخ المدرس غير متقيد وبالمسموع أو المنقول من مسائل مختلفة، وأيضا في هذه الحالة يصبح الطلاب مهتمين بعدم تفويت أي جزئية في الموضوع المطروح.³

أما عن المواد التي تدرس بالزاوية، فهي تعتمد في تعاليمها على التدرج في ثلاثة مراحل وهي على سبيل التقريب:⁴

المرحلة الأولى: مرحلة المبتدئين

وفيهما يدرس الطلبة القواعد النحوية والكتب الأجرومية وملحقة الإعراب والأزهرية ويدرسون كذلك مادة الفقه الإسلامي ومن كتبه ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني بجزأها إلى جانب بعض الكتب في التوحيد والبلاغة والأدب.

مرحلة المتوسطين الثانوي:

في هذه المرحلة يدرس الطلبة القواعد من كتب قطر الندى شذور الذهب وشرح المكودي، أما الفقه فيدرسون فيه الشيخ خليل في الفقه مالكي وه ذا بعد أن يتم حفظ القرآن كليا بطريقة جيدة.¹

¹ عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص66.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص349.

³ المرجع نفسه، ص350.

⁴ رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، (ش، و، ن، ت)، الجزائر، 1975م، ص275.

مرحلة المنتهين:

وهم طلبة القسم العالي الذين يدرسون تفسير القرآن في كتاب تفسير الواحدي والحديث في كتاب بن أبي حمزة في شرح الأحاديث النبوية ويدرسون الفقه في كتاب الدردير على الشيخ خليل، والقواعد في كتب ابن عقيل على الألفية والأشموني وشرح ابن يعيش على المفصل بدون إهمال العلوم المتصلة بالمواد المذكورة، ففي المراحل الأخرى يدرسون أصول الفقه وشيئا من تاريخ الإسلام والسيرة النبوية كما يدرسون المنطق بصلته بعلم التوحيد وحساب بعلاقته الوثيقة بعلم المواريث والفلك لمعرفة أوقات العبادات وغيرها.²

ويجب التنويه على أن معظم الزوايا التي تهتم بنشر التعليم لم يكن لها نظام تعليمي موحد سواء من ناحية المناهج والكتب التعليمية ومواد الدراسة وسنوات الدراسة ومراحلها، أو من حيث أعمار الطلاب أو مستواهم العلمي وكانت أعراف وتقاليد كل زاوية، فالطلبة يتابعون دراستهم عدد من سنين قد تطول أو تقصر ويدرسون خلالها علوم الدين واللغة وبعض كتب التاريخ والسيرة وكل ما يتعلق بها.³

ومن الزوايا التي اعتمدت طريقة التعليم المذكورة سابقا نذكر:

زاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي وتوجد هذه الزاوية بجبال جرجرة بعرض يلولة أو يلولن ولاية تيزي وزو، وأيضا زاوية الهامل ومقرها في قرية الهامل، بجبال أولاد نايل إلى الجنوب من مدينة بوسعادة.⁴

ثانيا/التعليم الديني عند المسيحيين:

امتاز التعليم الفرنسي في الجزائر خلال المرحلة (1830_1900م) بلفقسه إلى نظامين تعليميين متميزين أولهما التعليم العمومي الفرنسي وثانيهما التعليم التنصيري الخاص:

1/التعليم العمومي : وقد باشرت الإدارة الفرنسية في تطبيق سياسة التعليم العمومي الذي يقع تحت إشراف وزارة التعليم العمومي الفرنسية، إلا أن الإدارة وهيئة التدريس فيه كلهم من رجال الدين المسيحي، ويتوجه هذا التعليم في خدماته إلى أبناء الفرنسيين، ويفرض هذا التعليم على التلاميذ دراسة التربية الدينية المسيحية إلى جانب التراتيل الدينية التي تقوم بها التلاميذ

¹ محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص60.

² سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص ص:356_358.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص ص:356_358.

⁴ الحاج مزارى: الهامل، بلوزداد، المطبعة العصرية، الجزائر، 1993، ص ص:7، 47.

كل يوم ثلاثاء وسبت، وكان هذا التعليم واسع الانتشار حيث غطى كافة المناطق التي يقطنها الأوربيون.¹

2/التعليم التنصيري الخاص : فهو يقع على عاتق الجمعيات التنصيرية التي تقوم بتأسيسه سواء من حيث الإشراف عليه أو تمويله، ومن هنا فإن وزارة التعليم العمومي الفرنسية ليس لها أي دخل فيه إلا من حيث مسابرتة للتشريع المدرسي الفرنسي فقط.² وينقسم التعليم التنصيري الخاص بدوره إلى قسمين أحدهما موجه إلى أبناء الأوربيين في الجزائر، وهم الذين عليهم تحمل نفقات الدراسة فيه، وأما الثاني فهو التعليم التنصيري الخاص بالأهالي الجزائريين.³

أنشئت الإدارة الاستعمارية مدارس حكومية بموجب مرسوم مؤرخ في 30 سبتمبر 1850م و حتى تتمكن بواسطتها إبعاد الجزائريين عن التعليم القرآني في الزوايا، التي يراها خطرا عليه ومن تكوين أعوان في خدمته، وتوجد هذه المدارس بتلمسان وقسنطينة والعاصمة.⁴ وكانوا يشرفون عليها فرنسيين، وكانت تهدف من خلال هذه السياسة إلى جعل هذه الأخيرة تحت رقابتها وإبعاد رجال الدين الأحرار، كذلك لتنافس بها الزوايا ، وكان يشترط للدخول فيها معرفة اللغة الفرنسية، ونجد أن هذه المدارس لم تجلب عددا كبيرا من التلاميذ الجزائريين وقد فشلت هذه السياسة.⁵

وإبتداء من سنة 1878م تأسست مدارس دينية مسيحية يسيرها مسيحيون، فتحت أبوابها لتلاميذ المسلمين في بعض المناطق الجزائرية كالقبائل الكبرى حيث سجل فيها 21 مدرسة مسيرة من طرف الآباء البيض يدرس فيها 1039 تلميذا والبيض وأولاد سيدي الشيخ و ورقلة قصد التمسح⁶، ويتبين لنا أن هذا التعليم لا يخلوا من كونه ذا طابع تنصيري وتمسيحي مشجعا

¹ محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904م) (دراسة تاريخية تحليلية، مذكرة رسالة ماجستير في علوم التربية، جامعة الجزائر، الجزائر، ص104.

² محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص104.

³ المرجع نفسه، ص105.

⁴ الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر، دار موفم للنشر، 1993، ص15.

⁵ لخداري رجاء: السياسة التعليمية الفرنسية الاستعمارية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، ص31.

⁶ الطاهر زرهوني: المرجع السابق، ص14.

مشجعا من طرف السلطات الاستعمارية عكس ما كان يشاهد بالنسبة لتعليم القرآن والمبادئ الإسلامية واللغة القومية لأبناء الشعب الجزائري.

ثالثا/التعليم الديني عند اليهود فكان كالتالي:

يعتبر الحيدر¹ المصدر الأساسي لتعليم اليهودي في الجزائر حيث عرف هذا النظام انتشارا كبيرا في العديد من المدن الجزائرية حيث كان يوجد بها 12 حيدرا، فتعلم بها من اليهود أربعمئة وخمسة وعشرون تلميذا ومع مرور الوقت ارتفع عدد التلاميذ المنتسبين للتعليم بالحيدر، لدرجة فاقت المدارس الفرنسية.²

وكانت طريقة التدريس المتبعة بالنسبة لليهود هي نفسها بالنسبة للمسلمين، غير أن الإنجيل كان بديل القرآن في المدراس، ولغة التدريس كانت العبرية في المدارس اليهودية.³

وكان المعلم فيها يحصل على أجرة من الأولياء التلاميذ، وكانت هذه المدرسة تقع غالبا في منزل المعلم، كان الأطفال يلتحقون بها بين سن السادسة والثالثة عشر، كما كان التعليم فيها إجباريا، وكان منهجها يتكون أساسا من قراءة كتب الصلوات وأسفار موسى الخمس وأجزاء من التلموذ. ولم تكن هذه المدارس تدرس أي مواد غير الدينية، وبوصول التلاميذ إلى سن الثالثة عشر، كانت الدراسة تنتهي بالنسبة للغالبية العظمى من التلاميذ.⁴

وأهم مدارس اليهود فتتمثل فيما يلي:

المدارس الأولية الخيرية : تعتبر وهران أهم مركز خاص بالمدارس الأولية الخيرية حيث تولت هذه المدارس تدريس التوراة والشعائر وأجزاء محدودة من التلموذ لتحضير التلميذ وإعداده من أجل الالتحاق بالمدرسة التلموذية العليا.⁵

¹ حيدر (Heder): المدرسة الأولية الخاصة، حيدر كلمة عبرية معناها حجرة ، تستخدم للإشارة إلى المدرسة الأولية الخاصة التي ظهرت منذ القرن الثالث عشر ميلادي وكانت هذه المدارس خاصة يمكن أن يقيما أي شخص ملم بالشريعة اليهودية بعد الحصول على موافقة الحاكم. ينظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، ط1، ج3، 1999، ص494.

² صميل أتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية ، تر:جمال الرفاعي، القاهرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب (عالم المعرفة)، الكويت، 1995، ص386.

³ Kamel Kateb:« Les séparation scolaires dans l'Algérie coloniale», **Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales**, L'Algérie avant et après 1954, 2004, p6. <https://insaniyat.revues.org/6242>.

⁴ أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص218.

⁵ عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص493.

المدرسة التلمودية العليا:

خلال القرن التاسع عشر كانت فرنسا تنظر إلى شمال إفريقيا أنها أرض فرنسية (إفريقيا الفرنسية الشمالية) إلا أن هذا لم يمنع الجماعة اليهودية في الجزائر من تكون بؤرة ثقافية دينية تتمثل في المدرسة التلمودية العليا بتلمسان.¹

فكانت المدرسة التلمودية العليا تولى اهتمامها بدراسة التلموذ حيث يعتبر هذا الأخير الكتاب الثاني في الشريعة اليهود ولدى طائفة الريانيين ومن يقر أ دون التلموذ فإنه مثلما من ليس له إله²، وكان بوهران 12مدرسة أهلية مشرف على إدارتها 14 مدرسا لديهم مابين 530الى 540 طالبا وكان الطلاب يدفعون مابين 22 إلى 50 فرنك أسبوعيا.³ ولم يقتصر التعليم عند الطائفة على جانبه الديني بل تعداه إلى الجانب العلماني خاصة بعد أن فرض الاستعمار ثقافته بالجزائر.⁴

أنشأ الفرنسيون في سنة 1832 مدرسة لليهود وأسندت إدارتها ليهودي فرنسي وأخرى للبنات، وفي عام 1833 أسست فرنسا مدرستين الأولى ابتدائية، أما الأخرى كانت ثانوية وكان لليهود رغبة كبيرة في الاستفادة العملية من تلك المدارس ومن أبرز ما تعلمه اليهود في هذه المدارس الآداب الفرنسية حيث أتقنوا اللغة اللاتينية خاصة في المجال الشعر اللاتيني والبلاغة.⁵

وكان لليهود تخوفا من ارتياد المدارس الفرنسية وذلك خوفا من تحويلهم إلى الدين المسيحي، وبعد صدور مرسوم كريميو (Cremieux) سنة 1870م وصل عدد المتعلمين من اليهود في سنة 1872م إلى 212 طالب وسنة 1881م زاد عدد المتعلمون اليهود إلى 443 طالبا.⁶

وما يمكننا قوله برغم مما مارسه الاستعمار الفرنسي من سياسة تضيق وعرقلة التعليم الدينية وي العربي الإسلامي، كما أنه لم يسمح بنشر التعليم العبري إلا بمقدار، ونجح الاستعمار

¹ عبد الوهاب المسيري: المرجع السابق، ص494.

² أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص219.

³ المرجع نفسه، ص220.

⁴ نفسه، ص219.

⁵ حمدان خوجة: المصدر السابق، ص: 106_107.

⁶ أمال م عوشي : المرجع السابق، ص187.

الفرنسي في فرض سياسته ونشر الثقافة الفرنسية، ولكن على العموم قد فشلت جهوده وكذلك جهود اليهود في الجزائر في توجيه جماعاتهم للتعليم الديني العبري، وذلك لأن التعليم العربي الإسلامي كان أقوى في الحضور و الأكثر تأثير على المجتمع الجزائري وكذلك على اليهود.

المبحث الثالث: علاقة المسلمين بالطوائف الغير الإسلامية:

على عكس العهد الذي شهد تسامحا دينيا كبيرا، والذي كان نتيجة للتشريعات العثمانية التي وضعت جميع القوانين التي كانت من شأنها أن تضمن النظام والتسامح الديني في علاقة المسلمين بغيرهم من الطوائف الأخرى، لم يكن العهد الاستعماري كذلك. حيث في السنوات الأولى للاحتلال حملت تغييرات جذرية، جعلت من الأهالي المسلمين ضحية الوضع الجديد الذي أبرز الحق الديني الذي يكنه الغزاة الجدد للجزائر، وأبرز الروح الصليبية والدافع الديني للحملة الفرنسية على الجزائر، من خلال العمل على إثارة الفتن والقلق بين الطوائف الدينية، من هنا يمكننا أن نستعرض علاقة المسلمين بالطوائف الغير إسلامية.

أولا/علاقة المسلمين مع اليهود:

منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، برز بشكل واضح التباعد الكبير بين المسلمين واليهود، بفعل الوضع الجديد الذي أصبحت تعيشه الجزائر، وما زاد من ذلك الموقف الذي أبانه اليهود من الاحتلال، إذ اندثرت جميع القوانين التي كانت تربط المسلمين باليهود وحل محلها التشريعات الفرنسية التي أعادت صياغة شكل جديد لعلاقة المسلمين باليهود، بعدما كانوا يعيشون في مجتمع واحد، فعمدت الإدارة الفرنسية منذ بادئ الأمر إلى إثارة الصراعات بين اليهود والمسلمين، فكان ذلك من خلال محاولة تفعيل وجود اليهود أكثر وتمييزهم من خلال تشريعات قانونية أهمها قانون كريميو (Cremieux)¹ الذي أعطى الحق لليهود الجزائريين في المواطنة الفرنسية، فلقد برزت عدائية الموقف اليهودي تجاه المسلمين وتجسدت فيما يلي:

أ/التضييق على المسلمين اقتصاديا : لعبت التجارة اليهودية الدور الأكبر في تحديد موقف اليهود من المسلمين، فلقد استخدمها اليهود لحصار المسلمين من الناحية الاقتصادية، مستغلين

¹ كريميو: هو أودولف كريميو شخصية فرنسية من أصول يهودية ماسونية، من أبرز المناصرين للوجود اليهودي بالجزائر، تقلد منصب وزير العدل، كذلك نائب بمجلس الشيوخ الفرنسي. ينظر عبد الوهاب خلف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، ط1، 2009، ص60.

بذلك ظروفهم الصعبة التي يمرون بها لصالحهم، من خلال أسلوب الاحتكار والرباء الذي اعتمده اليهود في تعاملاتهم مع المسلمين، فحرص اليهود على ربط مصالحهم بأوروبا حتى لو كلفهم ذلك تدهور علاقاتهم بالمسلمين، فاستغل اليهود أزمة المجاعة التي حلت بالبلاد الجزائرية خلال سنوات 1838م و1866م و1867م و1869م و1870م، استغلالا رهيبا لتحقيق أرباح غير مشروعة من خلال استغلال ثروة الناس التي يبيعونها بأبخس الأثمان.¹

في الوقت ذاته قام اليهود بتقديم قروض للأهالي الذين يعانون من الفقر، لكن بفوائد خيالية تتراوح إلى ما يقرب 40 بالمئة وفي ظرف شهرين ونظرا لاستحالة تسديد الأهالي لهذه القروض يحصل اليهود على العديد من ممتلكات المسلمين، وكان اليهود ينافسون المسلمين بطرق تبرز ذلك الحقد من خلال خفض أسعار الحبوب التي ينتجها الأهالي في مواسم تخصب الأراضي الفلاحية للمسلمين ويرفعونها في الحالات المعاكسة.²

وتشهد محاكم قسنطينة على الاستغلال الكبير الذي عانى منه المسلمين من طرف اليهود بسبب القروض الربوية التي رفعها المرابون اليهود ضد المسلمين خلال سنتي 1869_1870م، الذين كانوا قد حصلوا منهم على قروض، ومن أشهر المرابين في هذه الفترة اوزلاي جوزيف (Ozellay Joseph) الذي رفع العديد من القضايا ضد بعض الأهالي، وما ساعد اليهود على ذلك المناخ الاقتصادي المتدهور والفقر المدقع الذي عانى منه الأهالي بسبب الأعباء الضريبية المفروضة عليهم من قبل الإدارة الاستعمارية.³ فالملاحظ أن الرغبة اليهودية الشديدة في تكوين الثروة كانت أقوى من أي اعتبارات أخرى حتى ولو كلفهم الأمر التحالف مع السلطة الفرنسية.

ب/الاعتداءات المادية المتكررة على المسلمين: أبان هؤلاء على رغبة كبيرة في الانتقام من الأهالي المسلمين، حيث نهبت أموال الأهالي ومنازلهم، وقام اليهود باعتداءات على من كانوا بالأمس يعيشون معهم جنبا إلى جنب، وما زاد من موقفهم هذا ما أظهرته الإدارة الفرنسية من تفضيل لليهود على حساب باقي سكان الجزائر، فأخذوا يعتدون على الأهالي بصورة فظيعة أبانت على ذلك الحقد الذي يكنه هؤلاء للمسلمين، وفي الأيام الأولى للاحتلال كان الأهالي

¹ إسماعيل العربي: « دور يهود بن دوران في دبلوماسية الأمير عبد القادر»، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع 16 / 17، 1980، ص 16.

² بوعزيز: دور عائلي المقراني والحداد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1994، ص ص: 47_54.

³ أمال معوشي: المرجع السابق، ص 250.

يخافون كثيرا بمجرد رؤية اللباس العسكري الفرنسي، الشيء الذي تظن له اليهود واستغلوه لإثارة خوف الأهالي، كما قام اليهود بسرقة والسطو على منازل الأهالي والقصور والمساجد والمقابر الإسلامية والابتزاز من أجل الاستيلاء على ممتلكات الأهالي أهمها التي قام بها أحد اليهود عندما قام بالنزول إلى منزل الأغا يحي الذي تسكنه أرملة ووضعه الأسلحة في بيتها رغم درايته بمنع السلطة الفرنسية لحمل الأسلحة من قبل الأهالي.¹

ومن أبرز من استغل وضع البلاد الجزائرية لصالحه بكري حينما استغل قربه من القائد دوپرمون (de Pormont) وقام بالعديد من الزيارات لشخصيات معروفة وادعى قدرته على حمايتهم من الفرنسيين² مقابل مبالغ مالية طائلة، وقيامه بالتحايل على العديد من نواب القبائل.³

فلم يتردد اليهود في الانتقام من أسيادهم السابقين بكل الصور، فاعتدوا على الأطفال والنساء، ففضيل الفرنسيين لهم عن باقي الأهالي جعلهم يتسمون بالوقاحة والجرأة في تعاملاتهم مع الأهالي وأبانوا على استعداد كبير للتعاون مع الإدارة الفرنسية ضدهم الشيء الذي أكده الفرنسيين أنفسهم على أن اليهود كانوا على استعداد لبيع الجيش الفرنسي من أجل مصالحهم.⁴ إن الموقف الذي أظهره اليهود من الأهالي المسلمين بعد الاحتلال يؤكد مرة أخرى على أن اليهود لم يشعروا بذلك الانتماء الوطني اتجاه الجزائر التي لم تكن الوطن الذي كان اليهود مستعدين للدفاع عنه ضد الغزو، والأكثر من هذا هو أن العلاقة مع الفرنسيين لم تكن أكثر من مصالح، فقد كان اليهود على أتم الاستعداد من أجل التحالف مع أين كان من أجل الحصول عليها وتحقيق رغباتهم وهي النفوذ الاقتصادي والثروة، وتحقيق الانتقام ممن كانوا يعتبرونهم مصدر الاضطهاد في وقت سابق.

علاقة المسلمين بالمسيحيين:

منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، والتي تزامن معها وفود أفواج المهاجرين الأوروبيين نحو الجزائر في إطار المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر سجلت الطائفة المسيحية ارتفاعا كبيرا من حيث الحضور بخلاف السنوات السابقة والتي شهدت على حضور

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص393.

² أمال معوشي: المرجع السابق، ص237.

³ المرجع نفسه، ص237.

⁴ سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1892، ط3، ص61.

ضعيف للمسيحية مقارنة بالمسلمين واليهود حيث كان حضورها يقتصر إلا على بعض الأوروبيين، وضح التوتر الكبير بين الأهالي المسلمين والمستوطنين المسيحيين الذين اعتبروا أنفسهم أسيادا على الجزائريين المسلمين، فحاولوا أن يستولوا على كل أملاك وأراضي الأهالي مستندين في تصرفاتهم هذه على قوانين الإدارة الفرنسية التي سنت سلسلة من المراسيم والقوانين التي من شأنها أن تجرد الأهالي من ممتلكاتهم.

توترت علاقة الأهالي المسلمين الجزائريين بالمستوطنين منذ السنة الأولى للاحتلال، فلطالما ربط المعمرون الأهالي بالإسلام الذي يكون الحقد والكراهية له، فلم يتردد المستوطنين بمختلف جنسياتهم الأوروبية في القيام بالهجوم على الدين الإسلامي ورموزه، ما أدى إلى توتر كبير بين الطائفتين خاصة من طرف أنصار الحضارة الفرنسية المتعصبين للدين المسيحي.¹ فنجحت الأقلية الأوروبية منذ 1830م إلى 1900م في إقناع السلطة الفرنسية في وضع برنامج يضمن سيادة العنصر الأوروبي على العنصر الأهلي والذي تجسد في سلسلة القرارات التي أصدرتها الحكومة الفرنسية فيما يخص تنظيم الاستيطان وفقا لما يخدم الجالية الأوروبية ذات الأغلبية المسيحية.²

خلاصة الفصل:

تنوعت الشعائر وممارسات الدينية للطوائف الموجودة في الفترة من 1830_1900م وطغى بشكل بارز ذلك التنوع الديني الموجود والإرث الحضاري الذي تمتلكه كل طائفة، وعلى الرغم من كون الطائفتين المسيحية واليهودية تمتعتا بحرية دينية على مستوى الممارسات والأكثر من ذلك حضيتا بدعم فرنسي لإحياء هذه المناسبات وتخليدها، حيث تبقى المظاهر والاحتفالات الإسلامية أكثر ما رفضته الإدارة الاستعمارية التي رفضت أي مظهر من مظاهر الحياة الإسلامية.

استحدثت فرنسا التنظيم القضائي الفرنسي في الجزائر، وأنشأت جهات قضائية مستمدة مبادئها وتشريعاتها من القوانين الفرنسية المعمول بها في فرنسا للفصل في قضايا الجزائريين المسلمين، وهذا بهدف تكريس سياسة الاستعمار التي نجحت في تجسيده شيئا فشيئا، وهكذا بدأ

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص311.

² عمار بوحوش: المرجع السابق، ص197.

تبلور التنظيم القضائي الفرنسي، فجملة القرارات والتشريعات التي أصدرتها تتمحور في هدف واحد والمتمثل في ربط الجزائر بفرنسا.

نستخلص أن التعليم الديني للمسلمين الجزائريين طيلة فترة الاحتلال لا يتعدى التعليم الديني التقليدي، وذلك للحد من معارفهم ومكاسبهم العلمية.

وقد أدى التعليم الديني بالزوايا والكتاتيب دورا بارزا في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية، وذلك من خلال تقديم دروس الوعظ والإرشاد لأبناء الجزائريين، ولقد استمر ذلك التعليم حتى بعد التضييق عليه من طرف فرنسا، ويعتبر ذلك أكبر تحدي للإدارة الاستعمارية. أما التعليم اليهودي لم يطاله ذلك التضييق من طرف الإدارة الاستعمارية، إضافة إلى ذلك نجد أن التعليم لدى هذه الطائفة اليهودية خرج عن إطاره الديني إلى الجانب العلماني، خاصة في ظل التحولات الكبيرة التي شهدتها الجزائر من خلال انتشار الثقافة الفرنسية. وقد حرصت المدارس اليهودية على مواجهة الخطر المسيحي والمتمثل في انتشار المدارس الفرنسية.

إن العلاقات التي ربطت المسلمين بغيرهم من الطوائف الأخرى لم تكن على أحسن ما يرام، على عكس العهد العثماني، فالتشريعات الفرنسية صبغت في اتجاه واحد جعل من علاقة المسلمين مع اليهود والمسيحيين تتسم بالتوتر الشديد لأسباب عديدة من أبرزها التجارة بالنسبة لليهود، والاستيطان بالنسبة للمستوطنين المسيحيين، الأمران اللذان استغلتهما الإدارة الفرنسية وجعلت منهما أداة تثير بها التوتر الطائفي.

الفصل الثالث : السياسة الاستعمارية

وانعكاساتها على الحياة الدينية.

المبحث الأول : أساليب السياسة التصيرية.

المبحث الثاني : ردود الأفعال الجزائرية ضد التنصير.

المبحث الثالث : المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية.

عمدت السلطات الاستعمارية إلى تشجيع ودعم السياسة التنصيرية التي قام بها المنصرون في البلاد، وذلك بهدف نشر الثقافة الفرنسية وطمس الهوية الوطنية للجزائريين، فقامت بتسطير التعليم بنوعيه التعليم العمومي والتعليم التنصيري في مناطق على حساب مناطق أخرى، وأيضاً رخصت سلطات الاحتلال للجمعيات التنصيرية ممارسة النشاطات التنصيرية، ورغم النشاط المكثف للمنصرين إلا أنهم لم يجدوا صدى لدى الأهالي رغم التضييق على نشاطاتهم الدينية المختلفة.

يتناول هذا الفصل السياسة الفرنسية وانعكاساتها على الحياة الدينية، وقد ركز المبحث الأول على توضيح أساليب السياسة التنصيرية وأما في المبحث الثاني تناولنا فيه ردود الأفعال الجزائرية ضد السياسة التنصيرية، والمبحث الثالث بعنوان المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية.

المبحث الأول: أساليب السياسة التنصيرية

احتضنت فرنسا سياسات تنصيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين، وقد تعاونت مع الهيئات التنصيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم للقضاء على الإسلام، واعتمدت في سياستها التنصيرية بغرض جذب المسلمين إليها مجموعة من الحيل والطرق التي هي أقرب ما يكون إلى الحروب الصليبية الهمجية، وهي في نفس الوقت أبعد ما يكون عن الحضارة التي طالما تغني بها الفرنسيون.

تعددت وتنوعت التعريفات حول مفهوم التنصير لدى المؤرخين والمفكرين نظراً لتركيزهم أكثر على الأهداف دون المحاولة للوصول إلى مفهوم موحد للتنصير، وبالمجمل يقصد بالتنصير محاولة إخراج الجزائريين عن دينهم الإسلامي وإحلال المسيحية محل الديانة الإسلامية، وحيث انتشر التنصير انتشاراً واسعاً من خلال تأسيس المدارس الدينية¹، والخدمات التعليمية والتطبيب اللذان يمكن اعتبارهما أعمالاً خيرية تحقق الهدف فالعمل الخيري في نظرهم هو بمثابة السلاح الأول الذي بواسطته يدخل المنصرون إلى قلوب الناس ليتركوا فيها أثراً أبدية.²

¹ ناصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر " الفترة الحديثة والمعاصرة"، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، ص312.

² محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من (1830_1904) "دراسة تاريخية تحليلية"، الجزائر، منشورات دحلب، 2009، ص90.

كما يعرف المسيحيين الأوروبيين التنصير من بينهم " غاردنر (Gardner) بقولهم: « إن التنصير هو هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المنصرون المسيحيون للتنصير فيها، خصوصا الإسلام.»¹

أوضح بدوره عبد الفتاح إسماعيل غراب، على أن هذه التعريفات، لم تفرق: « بين التنصير العفوي والتنصير المؤسسي، الأمر الذي بدوره يشعرنا بأن كلّ تنصير لا يبدو أن يكون منظّمًا مخطّطًا له تابع لمنظمة تديره وتتابعه.»²

أساليب التنصير:

1/ المنصرون: انتشر المنصرون في مختلف نواحي القطر الجزائري بغرض التنصير حيث اعتمدوا على التستر والتخفي وراء الأعمال الخيرية كمساعدة المعوزين والمشردين وفئة الأطفال اليتامى والعجزة ومعالجة المرضى، والقيام بفتح مدارس للأطفال تعتمد على برنامج مسيحي تنصيري صريح، وعلى برنامج لهدم العقيدة الإسلامية ومحو حضارة وثقافة هذا الشعب المسلم وتعاون في هذه الأعمال مدارس المنصرين ومدارس العمومية على السواء بهدف تفكيك ترابط الأسرة الجزائرية وذلك من خلال تربية الأطفال تربية دينية مسيحية تتعرض مع تعاليم أسرهم المتوارثة.³

ولم يغفل المنصرون على القسم الجنوبي⁴ من البلاد الجزائرية حيث نزلوا وتمركزوا بمدينة معسكر والبيض والأغواط⁵... إلخ، وذهبوا إلى أبعد نقطة تتواجد بها حياة بشرية بغرض تحقيق هدفهم.⁶

¹ عثمان زقب: السياسة الفرنسية في الجزائر "1830_1919" (دراسة في أساليب السياسة الإدارية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015، ص317.

² المرجع نفسه، ص317.

³ عبد القادر خليفي: « سياسة التنصير في الجزائر»، مجلة المصادر، ع9، وهران، مارس 2006، ص140.

⁴ أنظر الملحق رقم (5): (صورة لكنيسة دوفوكو بالقليعة بالصحراء)، ص119.

⁵ الأغواط: وسميت الإكسل هم بعض القبائل التي طردت من طرف بني هلال إلى ناحية البيض، وهم أربعة أعراش أما إكسل فهو إسم لجبل بالبيض، انجذب إليه بني الأغواط، ويحدها من الشمال جبل عمور، شرقا أولا نايل، وجنوبا بني ميزاب، وغربا قبيلة الأغواط كسال. ينظر: عثمان حساني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007، ص27.

⁶ Labbé Fr Brébion: Des peres Blancs، Alger، maison garré، 1904، PP: 63_64.

2/الأعمال الخيرية: ارتكزت عملية التصير بشكل أساسي على الأعمال الخيرية والتي بدورها استغلت الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للسكان وذلك بسبب الفقر واحتلال المنطقة من طرف الاستعمار الفرنسي، حيث استغل القسيس كروزات (Krozette) الظروف الأهالي المزرية فقام بتوزيع بعض الملابس عليهم وبعض المواد الغذائية كالسكر والقهوة، وقدم لهم الإرشادات الدينية.¹

وقد انتهز رجال الدين المسيحي الفرص التي سمحت لهم بمحاولة تصير بعض السكان من خلال تقديم لهم المساعدات الخيرية، وهذا ما يبرز ويثبت أن هذا العمل الخيري لا يخلوا من أغراض أيديولوجية.²

وكان القسيس كروزات (Krozette) قد اعتمد على نفس الطريقة وهي الأعمال الخيرية بغرض تحقيق غايته فبدأ نشاطه في هذا النطاق ببني يني وبني جناد، حيث مهد هذا القسيس لرسالته التصيرية فأخذ يحدث السكان عن الديانة المسيحية، وقد ركز جهوده على قرية بني فراج التي نزل بها أول مرة لاعتقاده أن جميع الأعمال الخيرية التي قام بها قد مهدت لي قرية مسيحية.³

3/تنصير الأطفال وخاصة اليتامى و المتشردين، وأبناء الفقراء...

اعتمد القائمون على حملة الكاردينال لافيغري (Cardinal Lavigerie)⁴ والتي تعتبر إحدى أهم الحملات التصيرية في الجزائر على إغواء الأطفال بكل الوسائل بغرض تنشئتهم على الديانة المسيحية، وقد نشط الآباء البيض في جذب هؤلاء الأطفال وجمعهم في ملاجئ استحدثت لهذا الغرض، نذكر من أهمها ملجأ بن عكنون، والقديس ميشال، وبيت بوفاريك التي كانت تضم حوالي 250 طفلا، وفي سنة 1867م شرع هذا الكاردينال في تنفيذ مخطته الذي يهدف لتنصير الأطفال الجزائريين، فكتب في مقدمة برنامجه: (علينا أن نجعل من الأرض

¹ يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، المرجع السابق، ص130.

² خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830_1871)، الجزائر، منشورات دحلب، 2013، ص 108_109.

³ يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، المرجع السابق، ص130.

⁴ الكاردينال لافيغري: هو أسقف فرنسي، من مواليد مدينة بايون سنة 1825، مؤسس المدارس التصيرية في المشرق، وأطلق عليه اسم (والد البيض المسيحيين)، رائد نشر لواء المسيحية في إفريقيا الشمالية، اشتهر بحماسة ويعمله لدمج المغرب بفرنسا، وتوفي سنة 1892م. ينظر: بسام العسلي: محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، بيروت، دار النفائس، 2010م، ص200.

الجزائرية مهذا لدولة عظيمة مسيحية أعني بذلك فرنسا أخرى يسودها الإنجيل دينا وعقيدة، فهذه هي مشيئة الله)، و من أخطر ما قام به لافيغري (Lavigerie) أنه كان ينصر الأطفال ثم يجعل منهم (أباء بيضا) ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين أهليهم.¹

وما نلحظه أن جميع المحاولات الخبيثة والخطيرة التي قام بها المنصرون والتي لم تكن تعرف التوقف أو الفتور، ولم ييأس أصحابها طيلة الفترة الممتدة بين (1830 إلى 1900)، فهي لم تحقق النجاح الذي كان يأمله هؤلاء، وذلك راجع لرسوخ العقيدة الإسلامية في قلوب الجزائريين وتمسكهم بالقرآن الكريم كان أكبر وقاية لهم من التنصير.

4/ استعمال التطبيب كوسيلة للتنصير:

يعتبر التطبيب في العمل التنصيري أكثر شمولاً من أي وسيلة أخرى، وذلك لكونه موجه للصغار وكبار على حد سواء، ومن جهة أخرى تبرز أهميته وتأثيره من خلال معالجة أمراض وألام الناس، فممارسة التطبيب في العمل التنصيري لا يرتبط بمكان معين أو بطبيب خاص فالمدرسة يمكن لها أن تمثل مستوصفاً، والمعلم يمكن أن يكون فيها ممرضا فقد استخدم المنصرون التطبيب في الجزائر كوسيلة للتنصير بطريقتين لا تختلفان عما يقوم به المنصرون في أنحاء أخرى من العالم وتتمثل هاتان الطريقتان في:

أ/ استقدام المواطنين إلى المستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض.

ب/ علاج المرضى منهم والجرحى في منازلهم.²

وتبرز أهمية التطبيب في الدعوة إلى المسيحية في كونه ركيزة لا غناء عنها في العمل التنصيري، بكونها تسمح للقائمين على عمل التنصيري بقيام بعملهم التنصيري دون أن يواجهوا ردت فعل عنيفة من قبل الأهالي.³

ومن أهم المراكز الطبية التي أنشأت لهذا الغرض مستشفى سانتوجين الذي أسسه لافيغري (Lavigerie) في بني منقلات ناحية عين الحمام بتعاون مع الحاكم العام سنة 1894م، على غرار مستشفى العطاف، فكان يحتوي على مئة سرير ونشاطهم من خلال هذا

¹ صلاح العقاد: محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1960م، ص11.

² محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص88.

³ المرجع نفسه، ص88.

المستشفى تركز على تقديم مساعدات للسكان، وخاصة اليتامى منهم، وقد وجهوا اهتمامهم لهذا الجانب و تولوا التصير في مستشفيات ومستوصفات خصصت لهذا الغرض.¹

5/التعليم التصيري : ركز المنصرون على الخدمات التعليمية لأبناء الجزائريين² والتي كانت تسعى إلى تحقيق غاية واحدة وهي تصير الأطفال الجزائريين، حيث كانت البرامج التعليمية إحدى أهم الوسائل التي سعوا من خلالها إلى تحقيق هدفهم، فمدارس المنصرين في الجزائر لم تكن تهدف إلى تبليغ الحضارة والعلم كما ادعى المنصرون بل كان غايتها الدعاية الدينية التصيرية وإشعار التلاميذ الصغار بأن انتمائهم الديني يؤثر على حياتهم، وركز المنصرين في الفترة الممتدة من 1830_1900م في نظامهم التعليمي على التصير أدى إلى ضعف مستوى الدراسة لدى التلاميذ، وأيضا اهتم المنصرون بشدة على منافسة التعليم العمومي الفرنسي وحرصوا على أن يظهر بنفس مستواه، سواء من ناحية المدرسون والمدارس.³

6/تكثيف نشاط الإرساليات الدينية المسيحية : توافدت على القطر الجزائري عدة بعثات تنصيرية من كل الأصناف، وتحت مختلف الأشكال والأسماء من هيئات تعليمية، وجمعيات خيرية.. وأظهرت نشاطا خاصا في ميادين الخدمات الاجتماعية، وتغلغلت في المناطق الأكثر فقرا لإغراء الأهالي بالمساعدات المادية و استدراجهم إلى الدين الجديد،⁴ ولتسهيل احتكاك هؤلاء القساوسة بمختلف الفئات الاجتماعية أطلقوا على أنفسهم إسم: (الآباء البيض) فكانوا يرتدون ثيابا بيضاء و برانيس مثل الأهالي تماما ، بل كانوا بلباسهم ذلك أشبه برجال الدين الإسلامي و مشايخ الزوايا إلى حد بعيد مع أن القساوسة في فرنسا يرتدون اللباس التقليدي الأسود، ولم يرتدوا اللباس الأبيض إلا في الجزائر غير أن هذه السياسة لم تأت هي الأخرى بأية نتيجة تذكر مع أفراد المجتمع الجزائري رغم صعوبة ظروفهم.⁵

¹ مقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، المرجع السابق، ص138.

² انظر الملحق رقم(6): (يمثل صورتين الاولى تمثل لراهبة مع تلميذها للشؤون المنزلية، والثانية تمثل مدرسة في قرية واضية)، ص120.

³ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص:134_135.

⁴ صلاح العقاد: المرجع السابق، ص115.

⁵ Joseph Variot: *Les pères blancs ou Missionnaires d'Alger* ، vingt ans d'apostolat 1887، P3

نماذج عن أساليب التنصير في الجزائر:

الأسقف بافي (Bavé):

هو لويس الثاني لويس بافي (Louis bavé)، كان عهده أكثر عهود رجال الدين المتحمسين للقضاء على الدين الإسلامي، فجاء متحمسا لمشروع التنصير واستعادة نشاط الكنيسة الكاثوليكية كما كان قبل الإسلام، وعرفت الجزائر خلال عهده (1846_ 1866م) تحولات كبيرة كثورات شعبية وتغييرات إدارية واستيطان مكثف ومحاولات للقضاء على التعليم والقضاء الإسلامي، ورغم ما كان يقوم به هذا الأسقف من الدعاية للكنيسة الكاثوليكية بين الأهالي المسلمين منها طرق الصدقات والمداواة والورشات ونشر اللغة الفرنسية إلا أنها فشلت.¹ وقام بمحاولات التنصير في العديد من المناطق أهمها ميسرغين وعين الحمام والأغواط والقبّة، وكانت المدرسة التي أنشأها بافي (bave) تعنى بتعليم تقنيات الفلاحة وغيرها، وكان الهدف من ذلك مساعدة المستوطنين الفرنسيين على استخدام اليد العاملة الجزائرية بأجور زهيدة، ومن أبرز من جندهم بافي لخدمة مشروع هالتنصيري الآباء اليسوعيين منهم كروزا (Kroza) في زوارة، وكليمانت (Clément) في ميسرغين، وعندما تأكد من فشل مشروعه التنصيري في المدن توجه نحو المناطق النائية والمعزولة وطلب من الحكومة الفرنسية إرسال أشخاص مساعدين له، رغم أن الحكومة الفرنسية لم تكن مشجعة له في بادئ الأمر، وعرف على بافي (bave) اعتماده على أساليبه الخاصة كمهاجمة الإسلام ورموزه، وبعد أن تأكد من فشل أساليبه التجأ إلى نفس أساليب لافيغري (Lavigerie) التي اعتمدها في وقت لاحق وهي كسب المعمرين إلى جانبه.²

نشاط الكاردينال لافيغري (Cardinal Lavigerie):

شرح لافيغري (Lavigerie) في توجيه نشاطه التنصيري بمنطقة القبائل³، حيث وضع برنامجا خاصا يسير عليه الآباء البيض في عملهم وهو:

1_ العمل على التنصير الجماعي لا الفردي، أي تنصير القرية بأكملها أملا في القضاء على روح التعصب الديني لديهم.

¹ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص ص: 114_ 117.

² المرجع نفسه، ج6، ص 117.

³ منطقة القبائل: تمتد شرق العاصمة حتى جبال البيان والبايور المقابلة لجبال جرجرة الموازية للبحر والمتوغلة في الداخل من جهة شلالة و اكفادو لتظل على حوض الصومام. ينظر: علي بطاش: المرجع السابق، ص 48.

- 2_ بسبب نظرة السكان للإنسان المسيحي بأنه كافر، لذا أوصى لافيغري (Lavigerie) المنصرون بأن يتظاهروا بمظهر التدين حتى يكسبوا الاحترام.
- 3_ التحلي بالصبر والتسامح وتقبل الشتم والسب.
- 4_ جذب السكان بواسطة الأعمال الخيرية والإحسان، الأعمال الطبية الإسعافية، زيادة القرى للمعالجة وتعليم الأطفال.
- 5_ الإندماج وسط الأهالي عن طريق لغتهم، لباسهم وأنماط معيشتهم.
- 6_ عدم التعرض للدين المسيحي لأن ذلك ينفّر السكان ويفشل المساعي التصيرية.¹
- وقد ارتكز لافيغري (Lavigerie) على دعائم أساسية لتحقيق برنامجه التصيري بالمنطقة والتي ما يلي:

استحالة تنصير مسلم قبائلي بالطرق التقليدية للتصير المباشر، فالمسلم معروف بتعصبه حسب زعمه ورفضه لكل ما يخالف عقيدته وهذا حسب قوله: "إن الأهالي عمي، لا يجب أن نقدم لهم النور برهة واحدة مخافة أن نراهم يتساقطون ويتهاوون للأبد في الظلمات فهذا النور إذا ما جرح كبرياتهم من شأنه أن يحدث لديهم كرها وحقدا."²

تجنب التصير العلني المباشر وسط القبائل المسلمين لأن الأمر من شأنه أن يحدث موجة من التعصب ستكون وبالاً على العمل التصيري، فالتهاون من شأنه أن يعطل لسنوات عديدة وحتى لقرون، عملية إنقاذ هذا الشعب.

خطر ارتياد المنتصرين وتوسيع دائرة النشاط التصيري بالمنطقة عمل لافيغري (Lavigerie) بمعية الآباء البيض وحتى اليسوعيين الذين كان لهم سبق إلى المنطقة على إنشاء مراكز تصيرية³ تكون بمثابة قواعد بسط النفوذ والغزو الروحي على المنطقة.⁴

وبتبيين لنا أن السلطات الاستعمارية سعت جاهدة لسلب هؤلاء السكان من ثقافتهم العربية الإسلامية، و ذلك بدعم سياسة التصير، حيث رخصت للجمعيات التصيرية على ممارسة نشاطهم التصيري، وتأسيس المدارس، وعملت على تقديم الاعتمادات المالية وتوفير الوسائل

¹ خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص157.

² ليلي طيار: النشاط التصيري للكاردينال لافيغري 1868_1898 "منطقة القبائل نموذجاً"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013، ص37.

³ انظر الملحق رقم (7): (يمثل نماذج من المراكز التصيرية)، ص121.

⁴ خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص159.

للجمعيات بإعتبارها جمعيات ذات أهمية لتكريس الاستيطان والقضاء على المقاومة التي كانت الزوايا والمساجد مركزا لها، وذلك بتتصير الأطفال وتحبيب لغة فرنسا وحضارتها لهم لتكوين جيل جديد متشبع بالثقافة الفرنسية.

المبحث الثاني: رد فعل الجزائريين ضد سياسة التنصير

لقد تعرضت المؤسسات الدينية بالجزائر لمحاربة شديدة طويلة الفترة الاستعمارية بمختلف الأساليب لأنها كانت تمثل عائق كبيرا أمام السيطرة الاستعمارية و سياسة التنصير والتجهيل.¹
أولا/ رد فعل الأعيان:

لقد عارض بعض الأعيان سياسة التنصير ومن أبرزهم نجد أحمد بوقندورة² الذي واكب نشاط الكاردينال لافيغري (Cardinal Lavignerie)، وموقفه المعارض وبشدة عن قرار المجلس البلدي لمدينة الجزائر الذي ينص على غلق المدارس الدينية وإيقاف الإعانات المخصصة لجميع الديانات بالجزائر، حيث اعتبر ذلك أمر يهدد أعز شيء لدى سكان الجزائريين ألا وهو الدين، ولكن لم تكن لملاحظاته آذان صاغية.³

ولقد رأى المسلمون الجزائريون تساهل وسكوت بعض العسكريين والسلطة بباريس على تصرفات المنصرين في عملية التنصير واستفزازا لمشاعرهم، وهو ما أبدى مقاومة عنيفة لرجال الدين المسيحي، ويمكن أن نذكر بأن هذا كان أحد الأسباب الرئيسية لثورة المقراني⁴ والشيخ الحداد⁵ ببلاد القبائل، وعلى حد تعبير لامي (Lamy) فإن موقف المجلس البلدي من الدين المسيحي هو الذي مس الديانة الإسلامية، ويبدو أن هذا كان أحد العوامل التي دفعت السكان

¹ فويال: المرجع السابق، ص17.

² تولى الإفتاء الحنفي لمدينة الجزائر سنة 1878م، وهو دو تبحر في المعارف السياسية ومتقن للغة الفرنسية وصاحب حمية في المدافعة عن أهالي وطنه، وله مشاركة في الفقه الحديث. ينظر: سعدي: النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر (1867_1892)، الجزائر، ط1، 2009، ص408.

³ سعدي: النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص408.

⁴ المقراني: ولد بناحية مجانة" برد بوعريريج" حسب المصادر التي تقول بأن ولادته كانت ما بين 1810 أو 1820م، عاش في قلعة بني عباس. ينظر: سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م) "رواد المقاومة الوطنية في ق 19م"، تيزي وزو، دار الأمل، ط2، ج1، 2004م، ص163.

⁵ الحداد: هو محمد أمزيان بن علي الحداد من بني منصور قرب وادي الصومام، ثم انتقلوا إلى بلدة صدوق، حفظ القرآن الكريم في زاوية والده وتعلم قواعد اللغة العربية، شارك في مقاومة المقراني، سجن ثم توفي في أبريل 1873م. ينظر: بوعزيز: موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، المرجع السابق، ج1، ص631.

إلى الالتفاف حول الطريقة الرحمانية ليعبروا مرة أخرى عن رفضهم لهذه التصرفات التنصيرية من المجلس وإبداء تخوفهم للتنصير جملة وتفصيلاً.¹

ثانياً/رد الشعب الجزائري من التنصير والمنتصرين الجزائريين:

رغم تفنن المنصرين في أساليب التنصير لكنهم لم يحققوا نجاحاً يذكر في مجال تغيير الشخصية الوطنية، لأن رسوخ العقيدة الإسلامية في قلوب الجزائريين المسلمين كانت أكبر حصن ضد سياسة التنصير، وقد اعترف رجال الكنيسة أنفسهم بهذه المقاومة المعنوية و الحصانة الدينية التي كان يتمتع بها الشعب الجزائري وأن العاطفة الدينية هي التي كانت على الدوام عامل المقاومة ضد سياسة التنصير.²

إن حملة التنصير المسيحية أزعجت المسلمين ولقد أكد رؤساء بعض القبائل إرادتهم للدفاع عن الدين الإسلامي، ومقولتهم "أنا لن نتخلى عن ديننا وإذا أرادت الحكومة أن ترغمنا على ذلك سنطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد، فليق لم نجد، فإننا نفضل الموت على اعتناق دينكم".³ ومنذ البداية عارض الجزائريون حركة التنصير، وتأكدوا أن فيها خطر يهدد دينهم وهويتهم فتحصنوا في بيوتهم، فلم يرسلوا أبنائهم إلى المدارس الفرنسية خوفاً عليهم من التنصير والفرنسة.⁴

ولقد قاوم الجزائريون بشتى الوسائل ورفضوا إقامة المنصرين بينهم، واعتبروا العملية ليست مجرد مس بعقيدتهم فقط، وإنما الأمر يمس بمشاعرهم الوطنية والعرقية، ولذلك وصل الأمر إلى إهانة المنصرين بعدما استقروا بجانبهم، ودليل ذلك ما فعلوه بالأب كروزا (Kroza) في قرية "بني فراح" بحيث وضعوا البراز على مقعده الحجري الذي تعود الجلوس عليه وغطوه بأوراق الشجر وعندما جلس ووعظهم فلما قام وجد ثيابه ملطخة، وأصبح سخرية لكل الحاضرين.⁵ وهذا دليل على رفض السكان له، وعندما أصر حاولوا أن ينفروه منهم، وأظهروا عداوتهم للمنصرين.⁶

¹ خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص152.

² سعدي: المرجع السابق، ص411.

³ Mahfoud kaddache: **Algérie des Algériens de la préhistoire a 1954**، Edition mediterrane، paris، p569

⁴ سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج6، ص139.

⁵ سعدي: المرجع السابق، ص412.

⁶ سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ج1، ص406.

كما احتج ابن علي الشريف على رسالة لافيغري (Lavignerie) في 06 أفريل 1868م برسالة وجهها إلى نائب الوالي العام فقال: "لقد قرأت رسالة الأسقف المؤرخة في السادس من شهر أفريل الماضي، والتي يقول فيها أنه يريد استبدال القرآن بالإنجيل من أجل إحياء الشعب العربي، لقد أثرت هذه الرسالة كثيرا في المسلمين، إننا نفضل الموت لجميع أولادنا على تنصيرهم".¹

وكذلك تبين الرسالة التالية نظرة الجزائريين إلى المنصرين وهي موجهة من الكولونيل هانوتو (Hanoteau) إلى الجنرال بوريل (Borel) بتاريخ 23 مارس 1868م من الأربعاء نايت ايراثن يقول فيها: "قام الكولونيل مارتن (Martin) قائد حامية الأربعاء (نايت ايراثن)² باستقصاء حول إمكانية التنصير في منطقة القبائل فحظرت في باله فكرة فتح فيها السيد أيمن القرية "الحاج لونيس" واستشارة أهل قبيلته إزاء قبولهم لخوري بينهم، لقد جن جنونهم، وخفت أصواتهم، ودمعت أعينهم ولفكرة أن يصبحوا نصارى، قالوا: "الأحسن أن نغادر البلاد، الأحسن أن نموت"³، ونلاحظ من محتوى هذه الرسالة أن الجزائريين وخاصة سكان جرجرة لم يرضوا بإقامة المنصرين بينهم وقابلوهم باللامبالاة والحذر منهم والعداوة، وتعرضت ممتلكاتهم للسرقة⁴ عدة مرات أهمها التي حدثت سنة 1876م،⁵ ومهاجمة مستشفياتهم وقراهم أبرزها مستشفى سانت الزابيت بقرية سان سيبريان سنة 1879م، وتكرر ذلك في 11 فيفري 1880م حيث قتل الأب ديوري (Diore)، وتكررت نفس الهجمة في 19 جويلية 1888م.⁶ وهذا دليل وتعبير واضح وصريح عن الرفض التام لوجود المنصرين.

وإن ما يبهر عدم قبول الجزائريين للحركة التنصيرية وسخطهم من المحاولات التي يقومون بها المنصرون ضدهم هي تلك الشكاوى المتكررة التي تقدم إلى الإدارة الفرنسية،⁷ ضد منصري

¹ أبو عمران الشيخ: قضايا في الثقافة والتاريخ، الجزائر، منشورات تالة، ط3، 2007، ص120.

² الأربعاء نايت ايراثن: منطقة اشتهرت بصمودها وبكثرة زواياها منها: زاوية بن أعراب، سيدي زيان، إسحنون وآث الحاج وغيرها. ينظر: علي بطاش: المرجع السابق، ص63.

³ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص208.

⁴ لقد فرضت سلطات الاحتلال إثر هذه العملية، غرامة مالية على سكان القرية، إلى جانب استرجاعها للمسروقات، كما قامت ببناء سياج حول مركز المنصرين وإقامة حراسة عليه في الليل والنهار. ينظر: محمد الطاهر وعلي: المرجع نفسه، ص209.

⁵ سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص412.

⁶ المرجع نفسه، ص413.

⁷ محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، دار الفكر، ص55.

منصري جمعية الجزويت وجمعية الآباء البيض عندما قام أعضاؤها بتهريب الأطفال إلى فرنسا.¹

وهذا ما حاول القيام به الأب ليروندال (Lerondelle) وهو من الشيعيين في 25 جانفي 1870م، حينما أراد اختطاف البنت عشوشة وأخاها "مولود"، كما أدت عملية التعميد التي قام بها لافيغري (Lavigerie) في حق أطفال المجاعة قبل الاحتضار سخط وخوف الكثيرين ففر بعض الجزائريين الذين دخلوا القرى العربية المسيحية بسهولة الشلف وعادوا إلى العيش في الوسط العربي الإسلامي.²

وفي الكثير من الأحيان كان القائد الفرنسي يضطر إلى أن يطلب من المنصرين مغادرة البلاد وذلك خوفا من غضب السكان.³

واعترف المنصرون أنفسهم⁴ أنه كان اهتمام الجزائريين بإرسال أبنائهم إلى المدارس التي أسست لأجل تنصيرهم اهتمام ضعيف، بحيث فضل الجزائريين تعليم أبنائهم كيفية أداء الصلاة وحفظ القرآن الكريم، وكثيرا ما يستأون من أحاديث المنصرين للتلاميذ عندما تتنافى مع العقيدة الإسلامية⁵، وتبين لنا مما سبق أن الجزائريين ينظرون إلى مدارس المنصرين بعين الحذر والحيطة من الأساليب التنصيرية التي يتبعونها مع أطفالهم، ولقد فشل المنصرون حتى مع الأطفال الذين جاؤوا إلى هذه المدارس ولم يستطيعوا إقناعهم.⁶

ونجد جل هذه المجهودات التي قام بها المنصرون بعيدا عن حماية السلطات، حيث باءت بالفشل الذريع، ولم يجد الجزائريون حرجا للنيل من حياتهم لأنهم يدعون لغير دين الله.⁷ وأما في الصحراء الجزائرية فإن رفض الجزائريين للمنصرين قد بلغ ذروته، حيث استعمل العنف ضد القساوسة، والتخلص منهم، وبعد مقتل الأب دو فوكو (De foucauld)¹ الذي قتل على يد سكان الصحراء وهذا لأكبر دليل على رفض وجود المنصرين.²

¹ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص209.

² سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص:414-415.

³ أبو عمران الشيخ: المرجع السابق، ص120.

⁴ هذا الاعتراف صادر عن الأب صويول بتاريخ 22 جانفي 1875م. ينظر: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص212.

⁵ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص212.

⁶ أحمد بن نعمان: «الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية»، مجلة الأصالة، عدد (85-86)، 1980، ص82.

⁷ جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م،

ص143.

وقد أكد الشعب الجزائري للمنصرين بأنه لا يرضى غير الإسلام ديناً، وأنهم طلاب علم ومعرفة فقط، وأثبت للمنصرين أن دخولهم في النصرانية ناتج عن ظروف خاصة ألتم بالشعب الجزائري، ولذلك فهم يعودون إلى الإسلام يزاول تلك الظروف وكان أغلبهم من طائفة الضعفاء والفقراء والأيتام.³

ولقد استعمل الجزائريون شتى وسائل المقاومة التي لا يمكن أن ندرك حقيقتها إلا بدراسة معمقة لنوعية تلك المقاومة وأنواعها فالثورات والانتفاضات والهجرات ما هي إلا مظاهر فقط لرفض الهيمنة، أما المقاومة الأخرى كمقاطعة المدارس الفرنسية وفتح المدارس العربية الحرة، وحفظ القرآن الكريم والهجرة لدراسة اللغة العربية في المعاهد الإسلامية كل ذلك يعد من مظاهر الرفض والمقاطعة والمقاومة للتصير والمنصرين.⁴

أما بخصوص موقفهم اتجاه المنتصرين فإن العلاقة بين الجزائريين والمنصرين لا تختلف عن علاقتهم بالذين اعتنقوا المسيحية من أبنائهم، وقد تكون أسوأ من ذلك لأن المنصرين يجدون حماية من طرف السلطات الفرنسية، فكل ما يمكن أن ينالهم من طرف الأهالي يقابله الفرنسيون بالعقاب.⁵

لقد تعمد المنصرون إلى خلق جيل حائر ومتشتت الفكر، يعيش بين واقعين متناقضين يحمل الولد المنتصر ذلك التناقض في أبسط شيء اسمه، فنجد مثال على ذلك اسم روبر (Rober) ابن عبد القادر، وجوزيف (Joseph) بن عبد الله.⁶

وبذلك خسرت هذه الفئة جهتين فهم لم يندمجوا مع الفرنسيين ولا مع السكان الذين يحملون ألواناً وأسماء غريبة، ومن جهة أخرى كانوا يحملون الطابع الأهلي، وهؤلاء المنتصرين قد

¹ الأب دو فوكو: من مواليد 1858م بستراسبورغ، دخل الجيش الفرنسي الإفريقي وترقى إلى رتبة ملازم أول بالمدرسة العسكرية سان سير، عمل في عدة أنحاء من الجزائر كتلمسان وعنابة وسطيف، ودرس اللغة العربية، وتعرف على مسالك الصحراء الجزائرية وسلطنها مبكراً، ومنذ سنة 1897م بدأ ينسق نشاطه التصيري مع رجال لافيغري في الصحراء، وكان هذا سبباً كافياً وراء قتله من طرف أحد مرابطي الحركة السنوسية سنة 1916م. ينظر: رضوان شافو: المرجع السابق، ص 246.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 6، ص 146.

³ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 218.

⁴ سعد الله: بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 2003م، ص 522.

⁵ المهدي البوعبدلي: «الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي»، مجلة الأصالة، ع 8، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973، ص 313.

⁶ المهدي البوعبدلي: المقال السابق، ص 313.

منحهم لافيغري (Lavigerie) أراضي استعمارية، ولكن المعمرين تعرضوا لهم ولم يعترفوا بهم كمسيحيين، وهكذا عاش كثير من هؤلاء التعساء منبوذين من قبل المجتمع.

إن القرائن الدالة على عدم قبول الجزائريين المنتصرين من ذويهم تتمثل فيما يلي:

العزل والنبذ:

لقد اتبع الجزائريون مع ذويهم المنتصرين نظاما خاصا في معاملتهم، حيث قاطعوهم وصاروا يسمونهم بالمطورنين أي المتجنسين،¹ ومن اعتنق المسيحية من أفراد وهم أقلية عاشوا معزولين منبوذين عن ذويهم ومجتمعهم وحتى من المعمرين الفرنسيين.²

كما حرص الأهالي على طرد كل من يسمح لأبنائه بالتوجه إلى المدارس الفرنسية التصيرية من مجلس القرية "جماعت" وحرمانه من جميع الحقوق التي يتمتع بها.³

الامتناع عن مصاهرة المنتصرين: تشكل عملية زواج المنتصرين من الجزائريين العقبة التي وضعها المجتمع الجزائري أمامهم،⁴ وعند العثور على الفتاة يطلب أهلها مهرا مرتفع الثمن، وذلك لكي يسمحوا لها بالذهاب إلى المدارس التصيرية التي تديرها الأخوات البيض لكي ينصرونها،⁵ إلا أن الجزائريين أفسدوا على المنصرين هذه الخطة وحتى حالات الزواج التي تمت عاشت في الدرك الأسفل من المجتمع وذلك لتتصير المتزوجين.⁶

التهديد والاعتداء على المنتصرين: اعتبر الجزائريون المنتصرين فئة مجلبة للعار ومدنسة لشرف القرية أو القبيلة ولذلك أصبح المنتصرون غير مقبولين في عائلاتهم.⁷ فكانت كل الوسائل مباحة لمحو آثار هذا العار، فلم يكتفوا بالطرد المنتصرين أو الامتناع عن المصاهرة أو التهديد بل تعدى ذلك إلى محاولة القتل في أغلب الأحيان.⁸

إن رفض الجزائريين للمنتصرين من ذويهم له أبعاد لها دلالات هامة في مسار عملية التنصير بالجزائر وبالأخص في منطقة القبائل من بين هذه الأبعاد نذكر مايلي:

¹ المقال نفسه، ص313.

² خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص163.

³ سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص419.

⁴ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص214.

⁵ المرجع نفسه، ص214.

⁶ نفسه، ص214.

⁷ سعدي: المرجع السابق، ص420.

⁸ محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص215.

- 1/ نفي المنتصرين والامتناع عن مصاهرتهم وكافة أشكال التعامل الإيجابي معهم إنذار لكل من تسول له نفسه الدخول في النصرانية ونبذ الدين الإسلامي.
- 2/ تعتبر هذه العملية من جهة أخرى ككبح لجناح المنصرين حتى يراجعوا مخططاتهم ويتأكدوا من جهة أخرى أنه مهما حققوا من نجاح، فإنفاق يبقى يلاحقهم باستمرار.
- 3/ تبيّن هذه العملية كذلك أن الشعب الجزائري يسعى إلى أن تكون معاملة أفرادهم مع رموز الثقافة الفرنسية في حدود ضيقة جداً، إذ يجب أن لا تتعداها إلى الدين والعادات والتقاليد التي ينبغي أن تكون كما هي متوارثة عن الأجداد،¹ ثم إن هذه المعاملة والسلوك الاجتماعي كان بمثابة صخرة حطمت عليها جهود المنتصرين.
- ونجد أن الجزائري وإن بقي منتصراً فهو لا يؤمن بصدق كل أحاديث المنصرين عن كون أن المسيحية هي الدين الذي يقود أتباعه إلى الجنة ويبدل هذا على أن هاجس الدين الإسلامي ما ينفك يلاحقهم وأن الظروف التي تمر بها البلاد هي التي تجعلهم يؤولون إلى ما هم عليه.² وما نلاحظه أن تعصب الجزائريون لدينهم أشد التعصب أدى بهم إلى محاربة المنصرين ورفض المنتصرين بكل ما لديهم من قوة وجاه.

ثالثاً/ رد فعل الزوايا الدينية من التنصير:

أرجع الكثير من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين فشل سياسة التنصير في الجزائر إلى الزوايا الدينية التي بقيت منتشرة في الجزائر بالرغم من قضاء الاستعمار على العديد منها كونها كانت بفضل نشاط فقهاءها وشيوخها، ودورها البارز في المجال الديني والثقافي، بالإضافة إلى كونها كانت ملتقى لدوي الرأي لحث المواطنين على الجهاد وعدم الولاء للكفار.³ وبذلك جمعت بين الجانب الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي ولم يعرف الفرنسيون لهذه الزوايا مثيلاً في أوروبا، ولذلك لم يتمكنوا منها.⁴ ولقد أدى رجال الزوايا والمرابطون دوراً في رفض التنصير وإبعاد أتباعهم فكان المتصلون منهم بالسلطة الفرنسية يحتجون لديهم وينذرونها بسوء العواقب، أما غير المتصلين بالسلطة فكانوا

¹ سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص 421.

² محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص ص: 216-217.

³ سعدي: المرجع السابق، ص 384.

⁴ المرجع نفسه، ص 384.

يقاومونهم بوسائلهم الخاصة وذلك بتتبيه الغافلين ووعظ الناس عن طريق المقدمين والإخوان، وقد وصلت المقاومة إلى العنف ضد القساوسة والتخلص من بعضهم.¹

وقاومت هذه الزوايا كل المخططات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وذلك بتمسكها بالقرآن الكريم، والشريعة الإسلامية والمحافظة على شخصية الأمة الجزائرية ومقوماتها الأساسية وبذلك أفشلت جميع المحاولات التي قامت بها الكنيسة بالجزائر من أجل تنصير الجزائريين.²

وعملت هذه الزوايا أيضا على تربية طلابها على الزهد والعفة وعلمتهم عزة النفس والدفاع عن كرامتهم والحفاظ على شخصيتهم، وهذا يتجلى في منهجها التربوي ونظامها الداخلي، بحيث تمنع على طلبتها تقليد المستعمرين في آرائهم وأخلاقهم وعاداتهم السيئة، والتشبه بالكفار، وفي المقابل تحثهم على الحرص والحفاظ على العادات والتقاليد الإسلامية العربية والوطنية.³

كما بذلت الطرق الصوفية والزوايا الدينية جهودا كبيرة خلال الحقبة الفرنسية الاستعمارية في مقاومة سياسة التنصير وعملت على الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري وشخصيته الإسلامية في ظل السياسة الاستعمارية القائمة على محو وطمس أي أثر للعناصر المشكلة للشخصية الجزائرية، فقد وقف شيوخ الطرق الصوفية والزوايا في وجه سياسة التنصير عن طرق إصدار الفتاوى وأراء العلماء الدين يتحكمون في الرأي العام الجزائري.⁴

وبضيف في هذا الصدد أحمد توفيق المدني فقوله: "لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام لهذه البلاد، وعمل رجالها على إرجاع الضالين إلى سواء السبيل، وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بدلوها والتي تقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للغة ولا لعلوم الدين".⁵

ويتجلى دور الزوايا في الجانب الديني على أنها عملت على نشر الإسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها خاصة الأقاليم الصحراوية كما فعلت السنوسية والقادرية

¹ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص139.

² محمد الشريف بن الشيخ: أصداء من الماضي، الجزائر، منشورات الخير، ط1، 2009م، ص54.

³ محمد نسيب: المرجع السابق، ص93.

⁴ المرجع نفسه، ص93.

⁵ سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، المرجع السابق، ص386.

والتجانبة،¹ وهذا ما شكل في حد ذاته دعاية مضادة للحركة التنصيرية التي امتد نفوذها إلى الصحراء.²

وقد أشارت إليه إحدى التقارير الفرنسية التي تعتبر بمثابة دليل على الدور البالغ للزوايا في الوقوف أمام حملات التنصير والذي جاء فيه: "تسعى الزوايا التي يدير معظمها مقدمون في مختلف المذاهب إلى إفساد عقول الأجيال وذلك ببث عدم التسامح الديني في قلوب الشباب وحملهم على كراهية الكافر، أن شيوخ الزوايا يختارون في تدريسهم نصوصا من القرآن معادية لنا مما يحطم لديهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا، ويقصد بها المؤسسات التنصيرية وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها وتخطط لها سياستنا".³

ويتمثل أيضا رد فعل الزوايا ومشايخ الطرق الصوفية في قيامها بالعديد من الثورات الشعبية الجهادية ضد السلطات الفرنسية وامتد إلى أواخر القرن 19م، ونذكر من هؤلاء الأمير عبد القادر، لالا فاطمة نسومر، أولاد سيدي الشيخ، والشيخ الحداد،⁴ الشيخ المقراني، والشيخ بوعمامة وغيرهم... وقد كان هؤلاء المجاهدون الأقوياء من أبناء الزوايا التي كانت تخرج جنود الدفاع الروحي المادي ضد المستعمر الفرنسي.⁵

وبذلك كسبت الزوايا من خلال رد فعلها تجاه النشاط التنصيري خاصة للكاردينال لافيغري (Cardinal Lavigerie) الذي بلغ ذروته مزية إعلان الجهاد والمقاومة، وثورة الطريقة السنوسية بالجنوب،⁶ وثورة الطريقة الرحمانية بالشمال الجزائري.⁷

تعتبر المساجد من المؤسسات الدينية الهامة لما لها من وظائف عديدة،¹ ولقد أدت دورا طلائعيا في غرس المبادئ الإسلامية في نفوس الأطفال،² وواجه الجزائريون تحويل المساجد إلى كنائس واحتجوا على ذلك منذ البداية الاحتلال ورأوا فيها خطر على هويتهم ودينهم.³

¹ بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص345.

² سعدي: المرجع السابق، ص387.

³ المرجع نفسه، ص401.

⁴ مقدم الزاوية الرحمانية بصدوق، ناحية بجاية، يعتبر الزعيم الروحي لثورة 1871م. ينظر: سعدي: المرجع نفسه، ص402.

⁵ سعدي: المرجع نفسه، ص401.

⁶ سعدي: المرجع السابق، ص400.

⁷ وشملت برج بوعريج، مجانة وسطيف، باتنة، تيزي وزو، ذراع الميزان، سور الغزلان، الحضنة. ينظر: يحي بوعزيز: ثورة

1871 ودور عائلي المقراني والحداد، المرجع السابق، ص79.

وكانت خير دليل على تمسك الشعب الجزائري بالدين الإسلامي ومواجهة سياسة التنصير، فقد كان المسجد هو رمز الإسلام الأول، وكذلك أدى وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه إذ يعتبر ذلك نوع من أنواع المقاومة والوقوف في وجه الغزو الروحي الفرنسي لأمة الجزائرية.⁴ و يتبين لنا أن الدور الرئيسي للمساجد هو التوعية والتعليم وبدورهما يعتبران سلاحا حادا في وجه المستعمر الفرنسي.

وكانت الكتابات في معظمها بسيطة المظهر والأساليب، إلا أن لها دور هام في المحافظة على القرآن الكريم، وعلى الطابع الإسلامي للجزائر شكلا ومحتوى، وفي مقاومتها سياسة التنصير والفرنسة التي انتهجها الاستعمار الفرنسي.⁵

لقد عملت على مقاومة سياسة التجهيل التي اتبعتها السلطة الاستعمارية ضد الشعوب. ولذلك وقف رجال الدين الإسلامي عموما ضد الاحتلال الفرنسي باعتباره العدو اللدود للإسلام والمسلمين، وهذا العامل الديني يركز عليه الفرنسيون كثيرا يحاولون إبراز الجزائريين في شكل شعب متعصب، وهي دعوة باطلة، كلها تعصب وحقد لا تمت للحقيقة بصلة.⁶ ومما سبق ذكره يتضح لنا الدور الاجتماعي والثقافي لهذه المؤسسات أيام الاستعمار الفرنسي وما قامت به من أعمال البر والإحسان والتعليم بالرغم من بساطتها، فقد أغلقت الأبواب في وجه المنصرين، بفضل دعاة يعملون بدافع ذاتي من قلوبهم يقابل عشرات المنصرين.⁷

المبحث الثالث: المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية.

بمجيء الاحتلال الفرنسي للجزائر، انتهت الإدارة الاستعمارية لمكانة وأهمية المؤسسات الدينية، فأخذت تعمل فيها بالهدم والمسح وتحويل المهم منها إلى كنائس والواسع منها

¹ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر...، ج1، المرجع السابق، ص197.

² سعدي: النشاط التنصيري للكردينال لافيغري، المرجع السابق، ص389.

³ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص139.

⁴ المرجع نفسه، ص224.

⁵ بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر...، ج1، المرجع السابق، ص202.

⁶ بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال وثائق، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص104.

⁷ محمد نسيب: المرجع السابق، ص23.

لإسطبلات وتكنات، كما حاربت الأئمة وشيوخ الزوايا ووضعت حداً لنشاطهم الديني، بالنفي والتتكيل والمراقبة الدائمة.¹

وهكذا سعت السلطات الفرنسية إلى رسم خطة مدروسة للقضاء على المؤسسات الدينية وتضييق الخناق على نشاطاتها، معتمدة في ذلك على الأساليب التالية:²
أولاً/الاستيلاء على الأملاك الوقفية:

سعي الاستعمار الفرنسي إلى الاستيلاء على المؤسسات الدينية للشعب الجزائري، وإتباع ذلك بقرار 7 ديسمبر من نفس السنة الذي يخول الحاكم حق التصرف في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء.³

كما تم صدور قرار بتاريخ 23 مارس 1843 الذي ينص بأن مصاريف ومداخل المؤسسات تضم إلى ميزانية السلطة الاستعمارية ، وبذلك توقف الدور الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات من أعمال خيرية وخدمة المساجد والمدارس القرآنية، وأصبحت بذلك مداخلها بيد سلطات الاحتلال تتصرف فيها كما تشاء.⁴

فقد عمدت السلطات الفرنسية بمدينة الجزائر سنة 1835 إلى التصرف في ألفي وقف، كان تحت تصرف لمائتي شخص ومؤسس، وكذلك تم الاستيلاء على 27 مسجداً و 11 زاوية ومصلى، ولم تكن الأملاك الموقوفة تزيد عن 293 وقفاً في سنة 1843م، وكانت قبل ذلك لا تقل عن 500 وقف.⁵

كما عملت السلطات الاستعمارية أكثر من ذلك بإصدار مرسوم 30 أكتوبر 1858م ينص على ضرورة انتقال الأوقاف من مسلم إلى يهودي، ولا يمكن أن تكون العكس، وهذا للقضاء على قيمة الأوقاف التي يجب أن تبقى بأيدي أمينة تحافظ على المصلحة العامة.⁶

¹ بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 5.

² مالك بن خليف: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس، دار طليطلة، ط 1، 2010، ص 59.

³ المرجع نفسه، ص ص: 61_62.

⁴ عبد القادر خليفي: المقال السابق، ص 136.

⁵ سعيدوني: الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2000، ص 22.

⁶ محمد بن شوش: المرجع السابق، ص 43.

ولقد بلغت الأموال الوقفية التي استولت عليها الإدارة الاستعمارية حسب إحصاء سنة 1869م ما قيمة 000،230 فرنكا مع العلم أن المال المستثمر من الأوقاف كان يغطي نفقات تسيير المرافق الدينية ورواتب القائمين عليها.¹

أما في سنة 26 جويلية 1873م أصدر مشروع وارني (Warne)² ويهدف هذا القانون إلى فرنسا الأراضي الجزائرية.³

وقد أدت هذه القوانين في عهد الاحتلال الفرنسي إلى الاستيلاء على الأملاك الوقفية بصفة نهائية وضمها إلى أملاك الدولة الفرنسية،⁴ ويتبين لنا أن السبب الرئيسي للاستيلاء على الأوقاف الإسلامية هو ضرب المقومات الأساسية للشعب الجزائري، وتفجير الشعب الجزائري وفي مقابل دعم وملئ خزينة فرنسا.

ثانيا/الاستيلاء على المساجد:

وعملت الإدارة الفرنسية بوضع يدها على مساجد منذ انتصابها على أرض الجزائر، فقامت بتحويل الكثير من المساجد إلى اختصاصات أخرى غير وظيفة الصلاة مثل تحويلها إلى كنائس وكنكات و إسطبالات أو تدميرها وغيرها،⁵ يذكر حاكم وهران: « عندما أقمنا بالعاصمة، أخذنا المدارس كي نحولها إلى مخازن، أو ثكنات، أو إسطبالات، و وضعنا أيدينا على أملاك المساجد و الثانويات، وزعمنا أننا نطبق على الشعب العربي مبادئ الثورة الفرنسية، لكن للأسف لم ير المسلمون في ذلك إلا هجوما عنيفا على دينهم...».⁶

فمنذ بداية الاحتلال أغلقت في الجزائر العاصمة 13مسجد كبير و 108 مسجد صغيرا و 32 جامعا و 12زاوية، وحيث كان ذلك في ظرف زمني لا يتجاوز نصف السنة،⁷ ويلاحظ

¹ مالك بن خليف: المرجع السابق، ص62.

² وبذلك تمت بموجب هذا القانون تصفية الأوقاف بصفة نهائية لصالح الاستيطان الأوربي في الجزائر سنة 1873، ينظر: سعيدوري: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري، المرجع السابق، ص22.

³ بوضرساوية بوعزة: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830_1930) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص115.

⁴ سعيدوري: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري...، المرجع السابق، ص22.

⁵ فضيلة حفاف: «السياسة الدينية الفرنسية بالجزائر مع بداية الاحتلال على عهد الدوق دي روفيكو(1831_1833)»، مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، بوزريعة، الجزائر، ع2، جوان 2016، ص82.

⁶ ايفون تيران: المرجع السابق، ص128.

⁷ سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1830_1900)، المرجع السابق، ص82.

استهداف كبير للمصليات والمساجد الصغرى بشكل ملفت وكبير لسهولة النسبية في استهدافها مقارنة مع المساجد الكبرى التي كانت تمثل رمزيتها أكبر في قلوب المؤمنين.¹ ومن أبرز المساجد التي تم تهديمها نذكر:

مسجد السيدة الذي هدم بأمر من الجنرال كلوزيل (Clausel) بوهم دبره اليهود له، وهو أنه يحتوي على كنوز الادي، وهذا نتيجة معرفتهم بمدى طمع هذا الجنرال في امتلاك ثروات الآخرين دون جهد،² وتم تهديمه بشكل نهائي عام 1832م، حيث استغل في تلك الفترة كمقر عام للجيش، بعدها بنت السلطة الفرنسية فندقا، وتم تهديم هذا الفندق في وقتنا الحالي، تاركا المجال لمحطة النقل الحضري بمدينة الجزائر الواقعة في ساحة الشهداء.³ كما حول مسجد كتشاوة⁴ إلى كنيسة.⁵

كما حولت مساجد أخرى إلى كنائس مثل: مسجد القصبة الذي أصبح يدعى كنيسة الصليب المقدس، وقد تغير شكله كثيرا، ومسجد القائد علي الذي منح إلى جمعية أخوات القديس جوزيف (Joseph) وغيرها من المساجد.⁶ المساجد حولت إلى مخازن للأسلحة⁷ ومستشفيات: مسجد عبدي باشا⁸: تم تحويله إلى مخازن للأسلحة الجيش عام 1830م، ثم عملوا على تدميره بعد ذلك.⁹

المساجد حولت إلى صيدليات و نذكر منها:

¹ هواري قبائلي: المرجع السابق، ص33.
² حمدان خوجة: المصدر السابق، ص ص:247_248.
³ محمود باشا محمد: الاستيلاء على مدينة الجزائر أو ذريعة المروحة، تر: عزيز نعمان، الجزائر، دار الأمل، ط2، 2005، ص96.
⁴ انظر الملحق رقم(8): (صورة لجامع كتشاوة في عهد الكنيسة)، ص122.
⁵ تذكر بعض المراجع أنه سعى لدى المسلمين ليتنازلوا عن هذا المسجد، وتم له ذلك برضى مفتي المدينة مصطفى بن الكبابي الذي كتب يقول لئن تحولت الشعائر في مسجدنا، فإن ربه لم يتحول وقد كان استطاعتكم أن تأخذوه قسرا، لكنكم فضلتم الطلب على القوة، وهذا مظهر من مظاهر التسامح، هيهات أن ننسأه. ينظر: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص28.
⁶ سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص82.
⁷ أنظر الملحق رقم(9): (يمثل صورة لاستعمال المسجد كمتحف للجيش في عهد الاستعمار)، ص123.
⁸ الواقع في شارع مكرم والذي قام الباشا عبدي بينائه عام 1725م، ثم قام الباشا بن بكير بإلحاق مدرسة قرآنية إلى هذا المسجد عام 1738م، وقد تم تحويل البنائيتين معا إلى الجيش، ينظر: محمود باشا محمد: المرجع السابق، ص85.
⁹ محمود باشا محمد: المرجع نفسه، ص85.

مسجد علي بتشين¹ وقامت الإدارة الاستعمارية بتحويل هذا المسجد سنة 1830م إلى صيدالية مركزية لصالح الجيش.²

كما سلكت الإدارة الاستعمارية هذا المسلك العدواني اتجاه المدارس القرآنية، فعملت على تدهيمها كمدرسة الأندلس، ومنها من أعطيت إلى مصالح أخرى مثل مدرسة الجامع الكبير (الذي لم يهدم) والتي حولها الفرنسيون إلى حمام، ولقد تلاشت هذه المدارس مع المساجد التابعة لها مثل: مدرسة صباط الحوت، مدرسة جامع السلطان، مدرسة جامع خير الدين، و مدرسة جامع عبد الرحمان الثعالبي.³

ومنذ 21 مارس 1867 أصدر ماكهمون (Mc Mahon) قرار يعطي صلاحيات كبرى لتفتيش المدارس القرآنية ومراقبة رجال الدين، وكان بمثابة أول قرار صريح يشير إلى وجوب استهداف الكتاتيب.⁴

كما لم تستثني الكتاتيب القرآنية التي أغلق الكثير منها هذا ما أدى إلى انفضاض الطلبة عنها والمريدين.⁵

وبدأت الإدارة الاستعمارية أيضا بضرب هذه المؤسسات وذلك بمحاولة استيعابها من خلال التضييق على العلماء والمفتون والأئمة، و حيث تعرض البعض منهم للنفي والتغريب، كما حدث مع الشيخ البوني، ومن بعده الشيخ الكبابي الذي نفي إلى كورسيكا سنة 1843، لرفضه تسليم عقود ووثائق وسجلات الحبوس إلى إدارة المارشال بيجو (Bégeau).⁶ ووفقا لقانون 30 أبريل 1851م القاضي بتنظيم أمور الدين الإسلامي، وتم بموجبه تقسيم العبادة إلى خمسة أقسام مع المحافظة على التقسيم التركي القديم لرجال الدين و الذي كان على النحو التالي:

إمامان للفتوى، إمام مفتى، إمام خطيب، باشا مؤذن، مؤذن، باشا خراب، خراب.

¹ مسجد علي بنتشين: الواقع بشارع باب الواد في أسفل القصبة، قام علي بتشين ببنائهما بين عامين 1622م و1623م، وهو من أصل ايطالي، اعتنق الإسلام تحت اسم علي بنتشين . ينظر: محمود باشا محمد: المرجع نفسه، ص90.

² فويال: المرجع السابق، ص62.

³ كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، المرجع السابق، ص12.

⁴ هوارى قبائلي: المرجع السابق، ص40.

⁵ بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، المرجع السابق، ص5.

⁶ هوارى قبائلي: المرجع السابق، ص85.

والملاحظة من هذا التقسيم اختفاء لقب شيخ الإسلام الذي كان يحمله المفتي الحنفي، إضافة إلى عدم مراعاة أهمية الدور المعنوي والمادي لدى الجزائريين، حيث فقد وظيفته الحقيقية بعدما سقط من أعين الناس لأن البعض منهم كانوا عينا للإدارة الفرنسية،¹ كما لم يصبح للمفتي سلطة على الإمام، وذلك إمعانا في تفكيك والقضاء على المرجعيات الدينية، ولخلق جو من الندية بين رجال الدين.²

ثالثا/ التصييق على الزوايا الدينية

لقد استهدف الزوايا من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية لكونها جزء من الأملاك والمؤسسات والأوقاف الدينية الإسلامية، ولكونها تعتبر جزء من الثروات و الأملاك والعقارات التي لا بد من وضع اليد عليها واستغلالها في الأغراض والمصالح الاستعمارية.³ حيث شرعت في إصدار قوانين تعسفية وأساليب قمعية منها قرار دوبرمون (de pormont) في سبتمبر 1830 الذي نص على مصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها، وأدى ذلك بدوره على القضاء على المساجد والزوايا وباقي المؤسسات الإسلامية، وبعد ذلك بدأت حملة الاستيلاء و اقتسام الغنائم الوقفية والمؤسسات الدينية الإسلامية بين الغزاة في كل منطقة يحتلونها،⁴ من بينها (ست زوايا مجاورة للمساجد لإيواء المتعلمون الغرباء، واختفت جميعها ولم يبق بعد سنة 1846م سوى واحدة كانت تقع في سوق الجمعة).⁵

وحسب تصريح لرئيس جمعية الجزائر هكلان فإن الأملاك المحبسة على زاوية ضريح الشيخ، سيدي عبد الرحمان الثعالبي وحدها قد بلغت (69 عقارا وكان فيما احتله الفرنسيون إبان نزولهم بالجزائر 55 عقارا اتخذوها كلها مأوى للجيش).⁶

وفي مدينة قسنطينة: جاء في تقرير قائد مقاطعة قسنطينة عن حالة أوقافها الإسلامية سنة 1866م ما مفاده: أنه من مجموع 95 مسجدا وزاوية كانت كلها تابعة للمسلمين يستفيدون منها ومن أوقافها لصالح نشر الدين والعلم، لم يبق للمسلمين منها في هذه السنة سوى 32 مسجدا أو

¹ المرجع نفسه، ص ص: 85_86.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص337.

³ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، بيروت، دار الثقافة، ط4، ج3، 1980، ص424.

⁴ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص443.

⁵ سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص ص: 22_23.

⁶ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج3، ص426.

زاوية والباقي حول إلى : خدمة المصالح العسكرية الاستعمارية ثكنات، سجون مستشفيات ...¹ أو خدمة المصالح التصيرية : أديرة، وكنائس، ومعابد ... أو هدمت بسبب إنشاء طرقات، وحتى بدون سبب.

أما مدينة عنابة التي كان يوجد بها 39 مدرسة و 37 مسجداً وجامعاً وزاويتان قبيل الاحتلال لم يبقى منها بعد الاحتلال سوى 03 مدارس فقط و 15 مسجداً.²

هذه الوضعية طبقت على جميع الزوايا وباقي الممتلكات الدينية في كل منطقة يستوطن فيها الغزاة، ولهذا استطاعت الإدارة الاستعمارية بفضل قرارات دوبرمون (deportment) أن تقضي نهائياً على عدد هائل من الزوايا منذ بدايات الاحتلال بالمصادرة والاستيلاء عليها، والقليل الباقي من الزوايا التي لم تصادر، لم تستطع الصمود بسبب حرمانها من أوقافها، وبذلك فقدت فعاليتها وحيويتها واضطرت إلى التراجع والتقهقر.³

بعد أن أحست سلطات الاحتلال بخطورة الزوايا والطرق الصوفية، وسارعوا إلى استدرار الأمر، وشنت موجة عظيمة من التحقيقات، وبدأت بتركيز الملاحظة والمراقبة على الزوايا والطرق، بعد مضاعفة عدد الضباط المجندين للمراقبة والتجسس، فأصدرت بذلك عدة تقارير وأبحاث وكانت ملمة بجميع المعلومات حول الزوايا (أماكنها، القائمين عليها، المترددين...⁴). ولقد استطاعت السلطة الاستعمارية بفضل تلك الأبحاث والتحقيقات أن توجه ضربات قاضية للزوايا وخارجها، وتم استهدافها بالخصوص بالتضييق والقمع ومحاولات التدجين : أ_ الاستهداف الخارجي : ويشمل مختلف الأساليب التي خصت بها الزوايا من خارجها تشديد الحراسة على المشبوه فيهم ومحاصرتهم ومنعهم من أي نشاط سياسي.⁵

¹ عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر العاصرة (1830_1962)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص103.

² سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج3، 1996، ص16.

³ عمار هلال: المرجع السابق، ص103.

⁴ فوزية لوصيف: «الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد»، قسنطينة، قسم العقيدة" جامعة الأمير عبد القادر، ص10.

⁵ عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830_1900)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص: 191_194.

منع التنقل من غير رخص :قامت بمراقبة التنقلات وإعطاء رخص للمرور الأمر الذي كان يسمح بالعثور على الذين لا يملكون هذه الرخص. ¹ مما يعرضهم لشتى أنواع الاضطهاد (ضرب، تعزيم...)

النفي والسجن والتشريد والترويع لزوايا وطرق بعينها مثل:"الرحمانية، و السنوسية".² سياسة فرق تسد وضرب الزوايا والطرق بعضها ببعض، حيث عمل الاحتلال الفرنسي على خلق نزاعات وخلافات (حول بعض القضايا الهامشية، كالقبض في الصلاة والجهر بالبسملة وقراءتها، وكان ذلك سببا في قيام مشاحنات وحزازات بين الأتباع)، أخطر تلك النزاعات هو ما كان يؤدي في بعض الأحيان إلى التقاتل، أو إلى خيانة الوطن والتعاون مع العدو.³ إقامة مدارس فرنسية مجاورة للزوايا، وهذا ليس من باب الاهتمام ولكنه تمهيد للقضاء على التعليم بالزوايا، حيث عملت على منافسته ووضع الشروط المضادة له وسحب التلاميذ منه وعدم التوظيف من خريجي تلك الزوايا.⁴

ب_الاختراق الداخلي: واعتمدت على عدة أساليب لاختراق الزوايا من داخلها نذكر مايلي: استعمال الكثير من الجواسيس من أهل الزوايا أنفسهم أو من باقي الأهالي، وتوقيف النشاطات التعليمية لكثير من الزوايا وتشجيعها على الدروشة والخرافات والدجل، وحتى السحر...إلخ.⁵

الإغراء بالمناصب والألقاب والامتيازات : من أشهر شيوخ الزوايا الذين قبلوا التوظيف الرسمي، شيخ زاوية شلاطة، وشيخ الزاوية طولقة سي علي بن عمر، الذي أعلن طاعته لسلطات الاحتلال منذ عام 1844م.⁶

الزواج المختلط: وأشهر حادثة تتعلق بالطريقة التجانية، والتي اشتهرت بموالاتها للاستعمار، بعد أن قام رأس الطريقة أحمد التجاني وتزوج بالفرنسية أوريلي بيكار (Aurélie picard).¹

¹ المرجع نفسه، ص194.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص ص:176_177.

³ بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، المرجع السابق، ص349.

⁴ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص351.

⁵ محمد الصالح بن عتيق: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر، منشورات دحلب، ص37.

⁶ بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ج1، ص242.

تضييق الخناق على التعليم القرآني بمرسوم 6 أكتوبر 1852، حيث (لم يعد يسمح لأحد بتعليم القرآن إلا برخصة).²

دمج التعليم في المدارس الابتدائية الفرنسية بمرسوم 18 أكتوبر 1892، وهذا ما (أخضعها للمراقبة وتفتيش السلطات الأكاديمية المدنية أو المحلية العسكرية).³ التدخل في المناهج والمقررات التعليمية داخل الزوايا : حيث (أجبروا المعلمين على تحفيظ القرآن دون تفسير، وتدخلوا في تدريس الفقه بحذف بعض الأبواب كالجهد ومنعوا أحيانا تدريس التوحيد)،⁴ وشجعوا اللهجات المحلية على حساب اللغة العربية، وبذلك ألت وضعية التعليم في معظم الزوايا إلى مأزق وغلب عليه الجمود والانغلاق.⁵

خلاصة الفصل:

فشل سياسية التنصير رغم ما أتبع من أساليب مختلفة من قبل المنصرين، حيث وجدت هذه الحملة مقاومة شديدة سواء من قبل الأهالي والمؤسسات الدينية، وهذا باعتراف السلطة الفرنسية التي أكدت على فشل سياسة التنصير.

رفض الأهالي والشعب الجزائري عامة للتنصير والمنتصرين من ذويهم وإصرارهم على رفضهم بشتى الطرق سواء بعزل ونبذ المنتصرين و الامتناع عن مصاهرتهم، وهذا دليل قطعي على رفضهم التحول للمسيحية وتمسكهم بعقيدتهم ودينهم الإسلامي.

ونستخلص أنه رغم ما ألحق بالمجتمع الجزائري من هدم وتدمير وتعسف من طرف الاستعمار الفرنسي، إلا أن جذوة المقاومة لم تمت وبقي الدين الإسلامي يغذي الشخصية الجزائرية وظل الشعب صامدا، مما صعب الأمر على المنتصرين خاصة والإدارة الفرنسية عموما من نجاح مخططها التنصيري ونشر المسيحية في البلاد.

¹ أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، ط1، ج1، 1984، ص286.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص176.

³ فوزية لوصيف: الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري، المقال السابق، ص14.

⁴ توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص351.

⁵ لوصيف فوزية : المقال السابق، ص14.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يتضح لنا أن الوضع الديني خلال فترة الاحتلال لم يكن أحسن حالا من الأوضاع الأخرى سواء السياسية أو الاقتصادية، فلقد شهد الوضع الديني تحولا كبيرا من العهد العثماني إلى العهد الاستعماري وبرز هذا التحول من خلال تعرض المؤسسات والرموز الدينية للهدم والتخريب والتدمير والتضييق، وقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن حصرها فيما يلي:

_ التنوع الطائفي الموجود في الجزائر عشية الاحتلال، وخاصة الطائفة اليهودية التي تمتعت بنفوذ سياسي واقتصادي كبير جدا زكاه موقف الإدارة الفرنسية من هذه الطائفة، والتي عمدت منذ بداية الاحتلال إلى إحداث تفرقة بين الأهالي المسلمين واليهود في الجزائر رغم ما جمعهم من تاريخ مشترك وغيره، أما الطائفة المسيحية فقد سجلت ارتفاعا كبيرا من حيث الحضور بعد الاحتلال وخاصة بعد تشجيع الإدارة الفرنسية للاستيطان.

_ استمرار المؤسسات الدينية من أوقاف ومساجد وكتاتيب وزوايا وطرق صوفية في أداء دورها الحضاري والفكري والتعليمي من خلال حرصها على أداء واجبها التعليمي وإصرار القائمين عليها على مواجهة الخطر الثقافي الفرنسي خاصة وأن الإدارة الفرنسية كانت على دراية تامة بما تحوزه هذه المؤسسات من أهمية ودور كبير في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري، وبالتالي فلبق القضاء عليها يعني القضاء على معالم كثيرة في هذا المجتمع.

_ لم تتخذ الإدارة الفرنسية نفس الطريقة في التعامل مع الطوائف الدينية الموجودة فبخلاف الطائفتين المسيحية واليهودية، لم يتمتع المسلمون بالحرية ذاتها التي نعم بها اليهود والمسيحيون، فلقد تعرض الأهالي إلى أسوأ أنواع التضييق فيما يتعلق بشعائهم الدينية وعباداتهم المختلفة، وسهلت الإدارة الفرنسية ممارسة الشعائر اليهودية والمسيحية من خلال تهيئة المناخ الملائم لهما بينما لم تكن الشعائر والعبادات الإسلامية كذلك.

_ في الوقت ذاته كان لجميع الطوائف الموجودة إرثها الحضاري والديني الغني الذي أبرزته من خلال أدائها لشعائرها الدينية وإرفاقها باحتفالات أبانت على التنوع الديني الموجود في الجزائر.

_ شهد القضاء الإسلامي تحولا جذريا من خلال مجموعة القرارات والقوانين التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية والتي تتمحور حول هدف واحد وهو ربط الجزائر بفرنسا، وربط المنظومة القضائية الإسلامية بالنظم الفرنسية من خلال التطورات التي شهدتها المؤسسة القضائية في الجزائر، والمراحل التي مرت بها خلال الفترة الممتدة بين 1830-1900.

_ إن التعليم لدى الجزائريين لم يخرج من نمطه التقليدي المتعارف عليه سابقا، وأن نسبة التعليم لدى الأهالي كانت ضعيفة مقارنة مع اليهود والمعمرين.

استخدام التعليم في الجزائر لخدمة الاستعمار وتثبيت ركائزه، بالإضافة إلى سماح الإدارة الفرنسية لليهود بإنشاء مدارس بكل حرية.

_ تحكمت التشريعات والقوانين الفرنسية في تحديد نوع وطبيعة العلاقة التي ربطت المسلمين بالطوائف غير الإسلامية كاليهود الذين استغلوا القوانين الفرنسية وموقف الإدارة الفرنسية منهم لمحاولة الانتقام من المسلمين ومحاولة التسلط عليهم، والذي برز من خلال الانتهاكات المتكررة والنهب والتقتيل والاعتداءات ضد المسلمين.

إضافة إلى أن المستوطنون المسيحيون امتازت علاقاتهم بالأهالي المسلمين بالتوتر الشديد نظرا لكون المعمرون حاولوا التسلط على الأهالي، والحصول على امتيازات على حسابهم محرضين الإدارة الاستعمارية التي أحاطت المشروع الاستيطاني برعاية شديدة.

_ اعتماد الإدارة الفرنسية على كافة الأساليب بهدف تحويل الجزائريين إلى المسيحية مستغلة بذلك ظروفهم الصعبة وأزماتهم أهمها مجاعة عام 1867م، ومحاولة المسؤولين الفرنسيين تشجيع التنصير من خلال وقوفهم إلى جانب رجال الدين المسيحيين في الكثير من المواقف والمناسبات، وهذا وإن دل على شيء وإنما يدل على الترابط القوي بين الدين والسياسة الفرنسية.

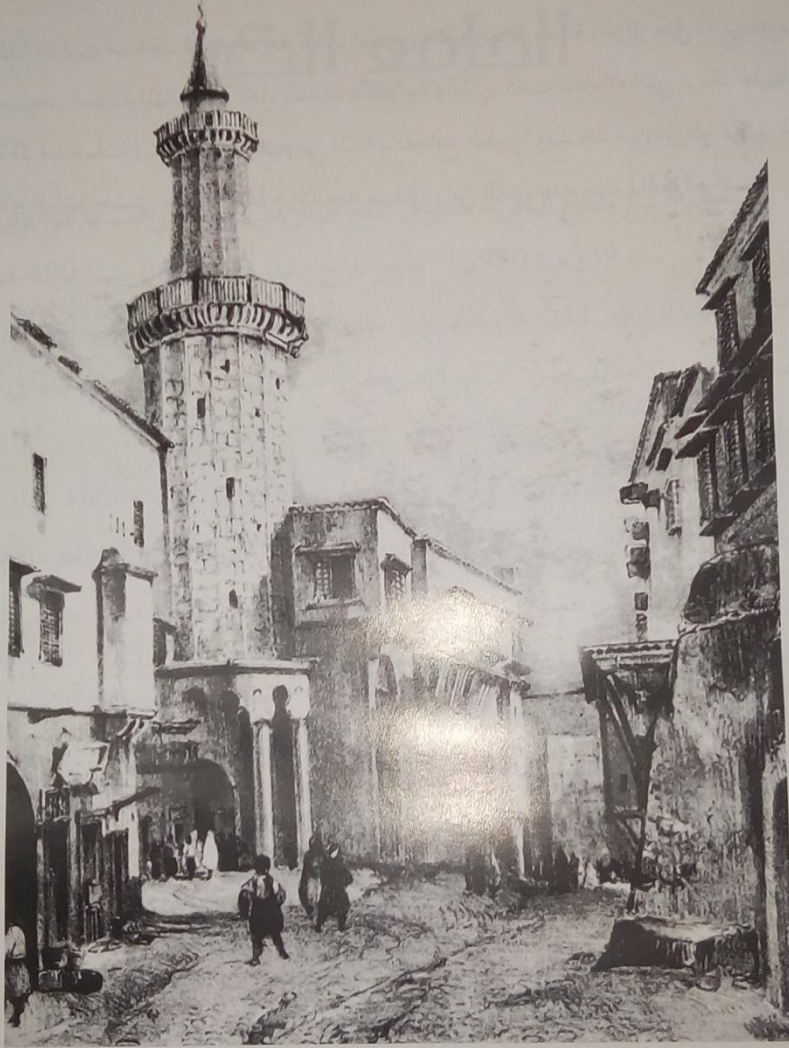
_ وقد برزت ردود فعل الجزائريين من التنصير من خلال الرفض الكبير للتنصير والمنتصرين والذي تجسد في العديد من المواقف كنبذ المنصرين والمنتصرين، ورفض مصاهرتهم ورفض المساعدات التي يقدمها لهم المسؤولون عن التنصير في الجزائر.

_ شملت المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية كل ماله علاقة بالدين الإسلامي في كل المدن الجزائرية، لذلك اعتبرت السلطة الاستعمارية هذا الدين خطرا على مصالحها وعلى تواجدتها بالجزائر، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك استمرارا لها في الجزائر دون إجراءات تضعف بها حضور وتأثير الدين في حياة الجزائريين، ولكن عرفت فرنسا رد فعل عنيف من طرف الجزائريين، والذين أصروا أكثر من أي وقت مضى على ممارسة حياتهم الدينية بأدق تفاصيلها وبكل قوة وإصرار، وتجسدت هاته القوة من خلال بروز الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية مطلع القرن العشرين في الجزائر الراضة لكل أنواع التأثير الاستعماري.

الملاحق

الملحق رقم: (01) مسجد ميزو مورطوا متواجد عند مدخل باب عزون.

المساجد الأثرية لمدينة الجزائر



▲ مدخل شارع باب عزون - مسجد ميزو مورطو-

المصدر:

سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، المرجع السابق، ص: 39.

ملحق رقم (02): يمثل صورة لكنيسة الأبيار قديما وكنيسة سانت القديس أوغسطين

02: كنيسة سانت القديس أوغسطين



01: كنيسة الأبيار قديما



المصدر:

خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 220.

الملحق رقم (3): مدرسة قرآنية سنة 1880م.

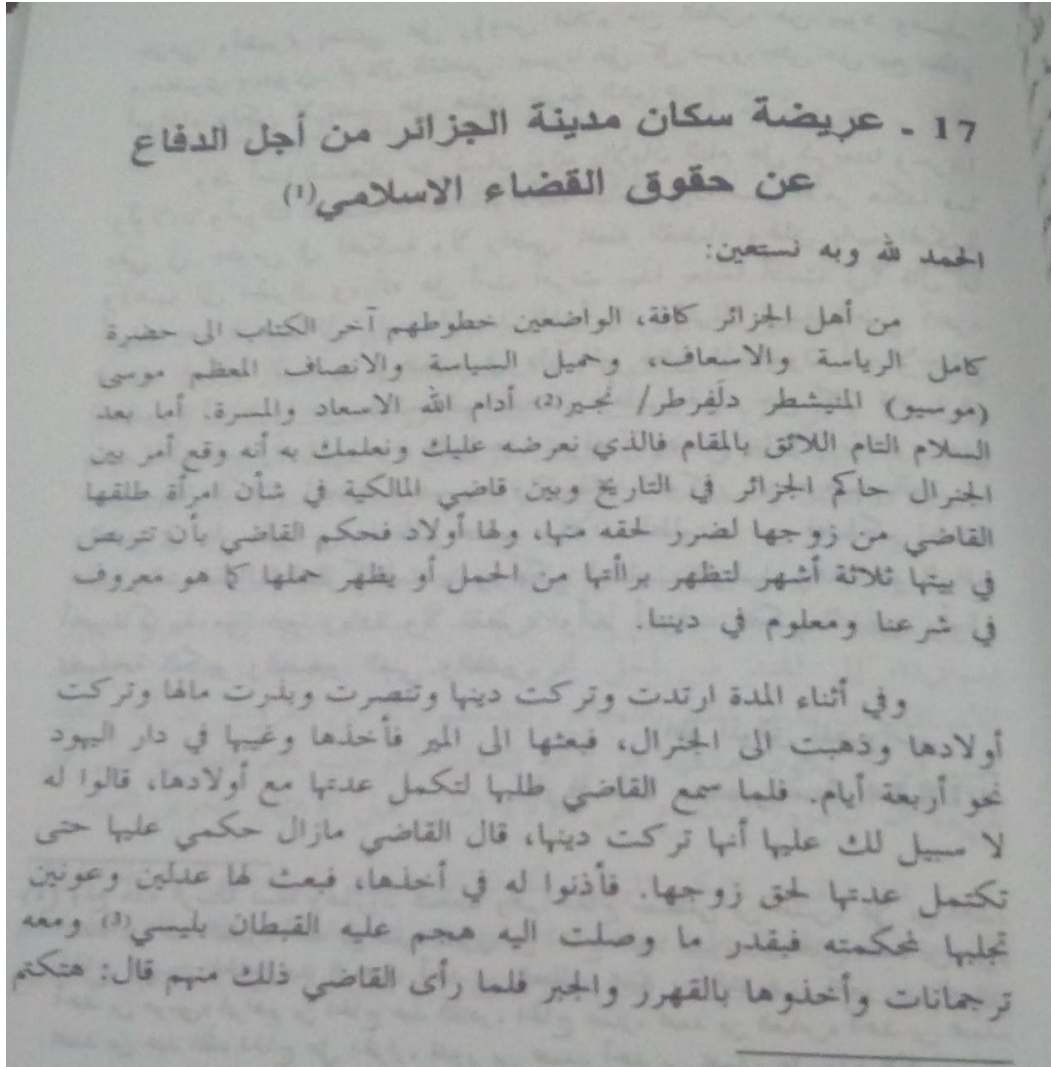


مدرسة قرآنية سنة 1880م

المصدر:

بشير بلاح: المرجع السابق، ص 543.

ملحق رقم (4): يمثل عريضة سكان مدينة الجزائر من أجل الدفاع عن حقوق
القضاء الاسلامي.



حرمي وأظهرتم إهانتني على رؤوس الملاء من الناس، من يهود ومسلم
وحضري وبلوي. ثم قال القاضي: صبرنا على كل ضرر حتى على بيع عظام
أمواتنا، ولكن لا نصبر على هتك حرمة الشرع.

وقد أمننا السلطان على لسان نوابه بالأمان التام على شريعتنا وحرمتنا
وأولادنا وأموالنا للمصلحة العامة والألفة التامة، وإذا صار الأمر هكذا فما
بقي لي جلوس في المحكمة ولا راضي بخطة القضاء وغلق باب المحكمة
وذهب إلى الجنرال وسأله هل أنت أمرت بهذا بعدما أذنت لي؟ قال أنا
أمرت به، فذهب إلى داره. ثم بعد الغدأ راد الجنرال تولية قاضي آخر،
فيث لجماعة المسلمين وجمعهم في دار المير فظن المسلمون أن الاجتماع
للمشورة ليختاروا من يصلح لهم للقضاء فأظهر لهم رجل كان قاضيا في
بيت المال فلما رآه المسلمون قالوا هذا نعرفه لا يصلح بنا ولا نرضوه فمن
سبق بهذا الكلام رفعوه وحسوه والقيطان المذكور يجرهم بالضرب
والشتم في دار المير. وهذا ظلم عظيم. والآن المطلوب من فضلكم الحنانة
علينا والشفقة لينا لنظركم السديد ورايكم الصائب الرشيد وهذا هو الواقع
أخبرناكم به من غير زيادة ولا نقص، وأنتم أعرف بحكم التدبير وأولى
بمصلحة الكبير والصغير الغني والفقير.

واقفه الموقف للصواب.

تاريخ 13 سبتمبر سنة 1834 (1)

(1) وقع هذه الرسالة تسعة وعشرون شخصا وهم: الحاج مصطفى بن حسن، علي بن أحمد،
محمد بن عبد القادر، أحمد بن عمر، العربي بن الحاج محمد الشريف، الحاج محمد بن علي،
الحاج علي بن الحاج عبد الرحمن، أحمد بن العطار، محمد بن الشريف، قنور بن العربي،
أحمد بن موسى، ابراهيم بن الحاج عبد القادر، الحاج عمار، محمد بن العباس، أحمد بن محمد،
محمد بن عبد الله، الحاج علي الحرار، قنور بن محمد، أحمد بن محمد، علي وليد الكبير، والي
بن اسماعيل، علي بن ابراهيم، عبد الرحمن، بن أحمد، عبد الرحمن ابن أحمد (هكذا مرتين)،
قنور بن الحاج العربي، أحمد بن عاشور، محمد بن عمر.

المصدر:

جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914)،

الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص ص: 75_76.

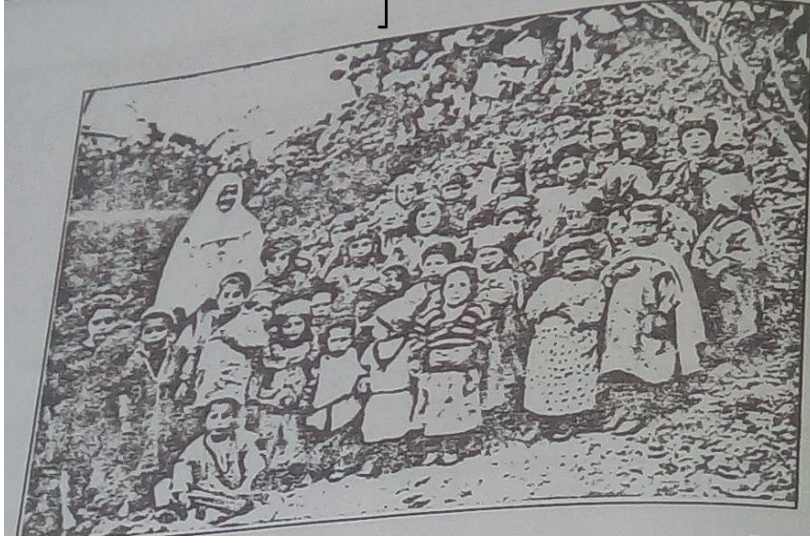
ملحق رقم (05): يمثل كنيسة شارل دوفوكو بالقليةة بالصحراء.



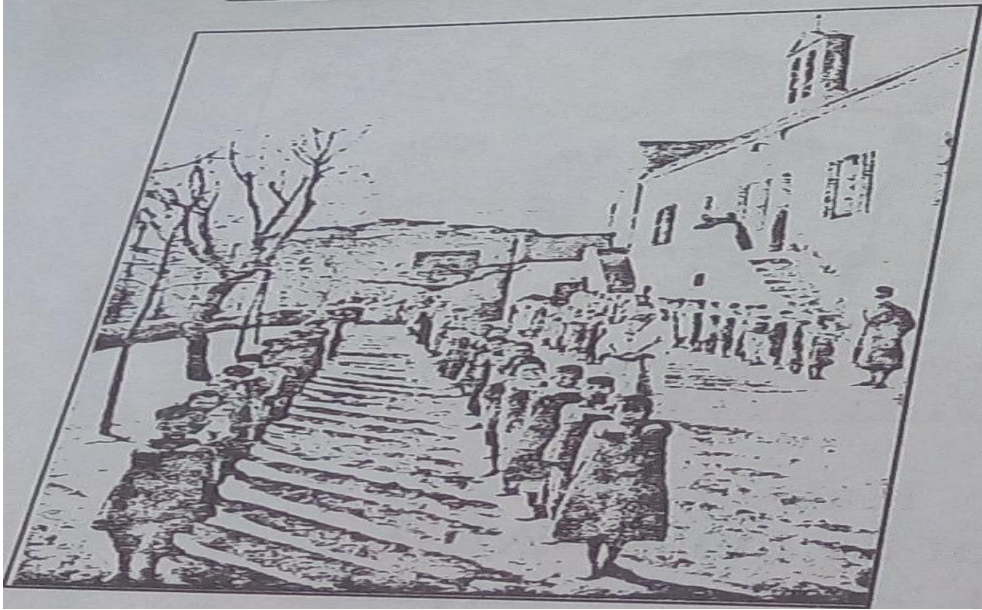
المصدر:

بشير بلاح ورايح لونييسي: المرجع السابق، ص 105.

ملحق رقم (6): صورة الأولى تمثل لراهة مع تلميذاتها للشؤون المنزلية.



الصورة الثانية تمثل: مدرسة في قرية واطية.



المصدر:

يسلي مقران: المرجع السابق، ص: 269.

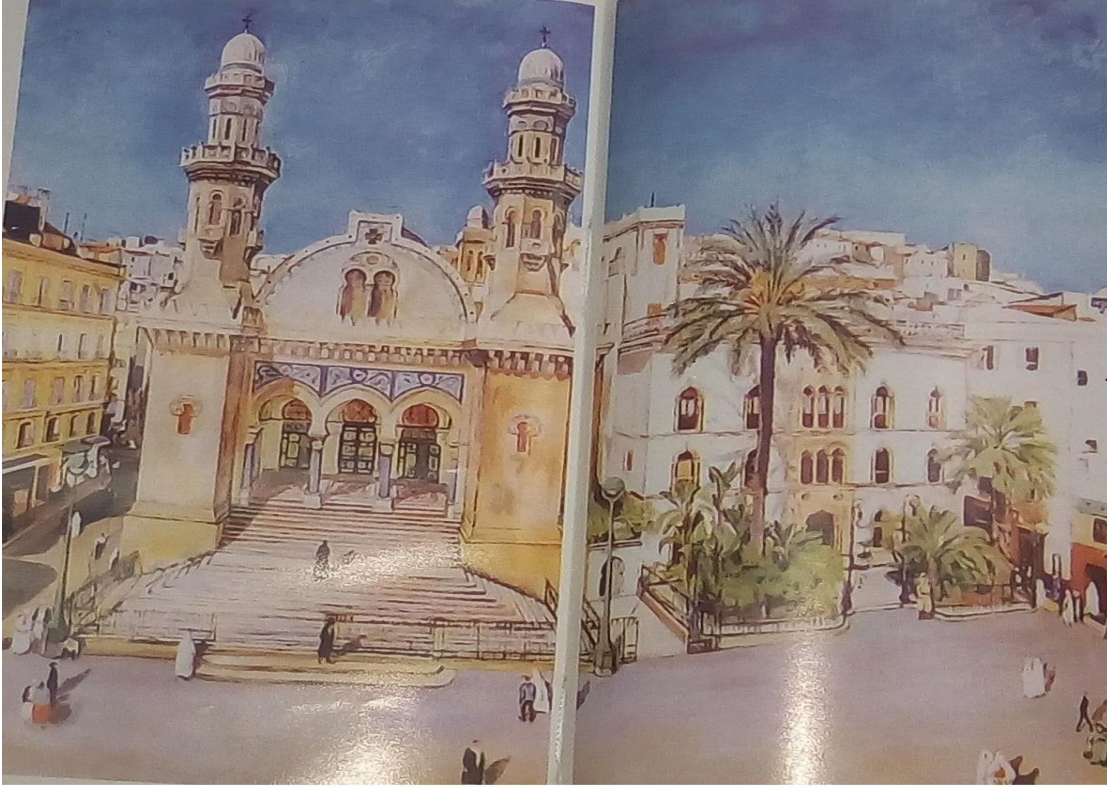
الهلحق رقم (7): نماذج من المراكز التنصيرية.

اسم المركز	سنة التأسيس
جامع الصهاريج	1872م
تاغمونت عزوز (بني يني)	1873م
تاوريت عبد الله (تيزي واضية)	1873م
إبيركانن (تيزي وزو)	1873م
بونوح	1876م
بني إسماعيل	1876م
وارزازان	1876م
إيغيل علي	1879م

المصدر:

بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 349.

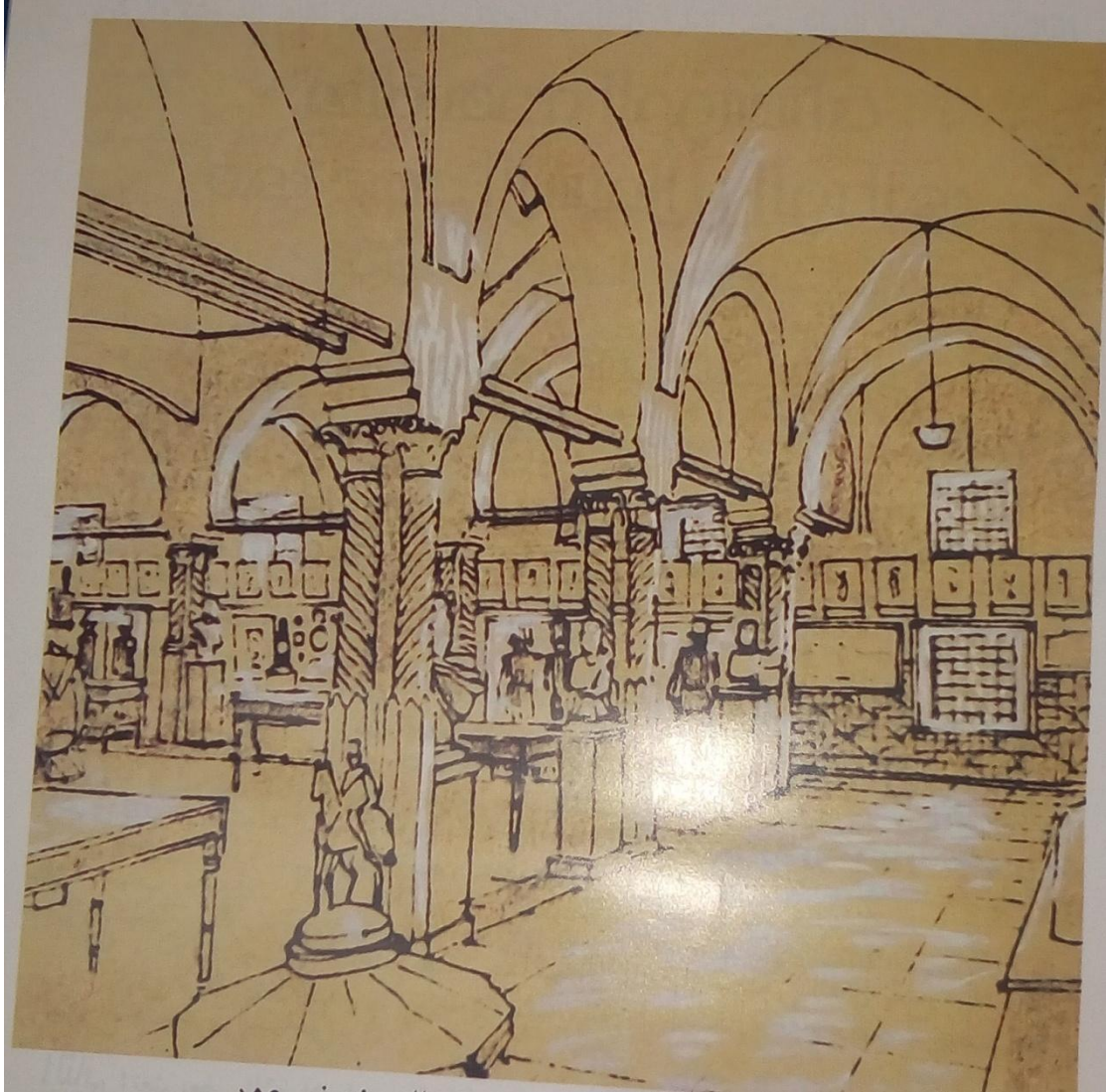
ملحق رقم (08): صورة لجامع كتشاوة في عهد الكنيسة



المصدر:

سعاد فويال: المرجع السابق، ص 73.

ملحق رقم (9) يمثل صورة لاستعمال المسجد كمتحف للجيش في عهد الاستعمار.



المصدر:

سعاد فويال: المرجع السابق، ص 19.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر:

أ_ باللغة العربية:

1 ابن الأثير :الكامل في التاريخ من 65هـ لغاية 126هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج4، 1987.

2 ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الفكر، ج6، 2000.

3 ابن عثمان خوجة حمدان: المرأة، تق وتغ وتغ: محمد العربي الزبيري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص269.

4 ابن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، شركة النشر والتوزيع، 1981م.

5 مرسىي أرست: الوقف أو الحبوس"قواعده وأحكامه"، تع:أمينة كواتي، 2014.

ب_ باللغة الأجنبية:

1_Variot Joseph : **Les pères blancs ou Missionnaires d'Alger** , vingt ans d'apostolat 1887.

2 _Fr Brébion Labbé : **Des peres Blancs**, Alger, maison garré, 1904.

ثانيا/المراجع:

أ_ باللغة العربية:

1 أتينجر صميل : اليهود في البلدان الإسلامية ، تر:جمال الرفاعي، القاهرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب (عالم المعرفة)، الكويت، 1995. ¹

2 أجرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا، الجزائر، دار الرائد للكتاب، ج1.

3 جاشا محمد محمود : الاستيلاء على مدينة الجزائر أو ذريعة المروحة ، تر:عزيز نعمان، الجزائر، دار الأمل، ط2، 2005.

4 باياني سيدي أحمد: الجزائر، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1974م.

5 بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر (1830 .1989م)، الجزائر، دار المعرفة، ج 1، 2006.

- 6 بطاش علي: لمحة عن تاريخ القبائل "حياة الشيخ الحداد وثورة 1871"، الجزائر، دار الأمل، ط3.
- 7 جلاح بشير: موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830.1989م)، الجزائر، دار المعرفة، 2000م.
- 8 جليل محمد: تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين (1881/1914م)، الجزائر، دار سنجاق الدين للكتاب، 2013م.
- 9 بن الشيخ محمد الشريف: أصداء من الماضي، الجزائر، منشورات الخير، ط1، 2009م.
- 10 بن خليف مالك: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد ابن باديس ، دار طليطلة، ط1، 2010.
- 11 بن صحراوي كمال : الدور الدبلوماسي لليهود في العهد العثماني ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 12 بن طوبال نجوى : طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700 - 1830 (من خلال سجلات المحاكم الشرعية)، دار الشروق، 2008.
- 13 بن عتيق محمد الصالح: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر، منشورات دحلب.
- 14 جوحوش عمار :التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997.
- 15 بورنان سعيد: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962م)"رواد المقاومة الوطنية في ق 19م"، تيزي وزو، دار الأمل، ط2، ج1، 2004م.
- 16 بوعزة بوضرساية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830_1930) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
- 17 بوعزيز يحي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- 18 (—): كفاح الجزائر من خلال وثائق، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- 19 (—): ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، ط2، ج1، 1984.

- 20 (—): دور عائلي المقراني والحداد ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1994.
- 21 (—): سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1854.1830)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.
- 22 (—): موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، الجزائر، دار الهدى، ج1، 2009.
- 23 جونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هـ و 12 و13م، دار الهدى، 2004.
- 24 تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية، (ش، و، ن، ت)، الجزائر، 1975م.
- 25 التميمي عبد الجليل: الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، تونس، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموركسية والتوثيق والمعلومات، 1990م.
- 26 التنتير البيروتي محمد بن الطاهر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرفاوي، القاهرة، دار الصحوة للنشر.
- 27 تيران ايفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، الجزائر، دار القصب، 2007م.
- 28 جرار كفاح: زوايا نائرة من اللوحة إلى البندقية، الجزائر، الأنيس، ط1، ص149.
- 29 جوليان شارل أندري: تاريخ الجزائر المعاصرة ، تر: عياش سليمان، الجزائر، دار الأمة، 2013.
- 30 الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، بيروت، دار الثقافة، ط4، ج3، 1980.
- 31 (—): تاريخ الجزائر العام ، بيروت، منشورات مكتبة دار الحياة، ط2، ج1، 1965.
- 32 حسن إسماعيل أحمد سميح: الاستيطان اليهودي في الجزائر (1830_1919)، الجزائر، دار الكتاب العربي، ج1، 2014.
- 33 الحقييل إبراهيم بن محمد: أعياد الكفار وموقف المسلمين منها، مصر، ط2، 2000.
- 34 حماني أحمد: صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، ط1، ج1، 1984.
- 35 حموش مصطفى: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفوكس والوثائق العثمانية، الجزائر، دار الأمة.

- 36 خديجة بقطاش : الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830_1871)، الجزائر ، منشورات دحلب، 2013.
- 37 خلف عبد الوهاب: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، ط1، 2009.
- 38 خياطة نهاد: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوتل.
- 39 خيثر عبد النور: منطلقات وأسس الحركة الوطنية، الجزائر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م.
- 40 تبوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، دمشق ، ج1، 1965.
- 41 درويش هبة: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والإسلام والمسيحية، مصر، ط1، 2006.
- 42 دودو أبو العيد: الجزائر في مذكرات الرحالة الألمان 1830-1855، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.
- 43 رمول خالد : الإطار القانوني والتنظيم لأملاك الوقف في الجزائر ، الجزائر، دار هومة، 2004.
- 44 الزبير محمد العربي : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981.
- 45 زرهوني الطاهر : التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال ، الجزائر، دار موفم للنشر، 1993.
- 46 زروال محمد: العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791_1830م)، الجزائر، مطبعة دحلب.
- 47 زوزو عبد الحميد : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830_1900)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- 48 سعد الله أبو القاسم: أبحاث آراء في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 2، 1986.
- 49 (—————): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، ج3، 1996.

- 50 (————): الحركة الوطنية الجزائرية (1830_1900)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1992.
- 51 (————): الحركة الوطنية الجزائرية (1860_1900)، الجزائر، دار الرائد، ج1، 2009.
- 52 (————): المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي(1775.1850م)، الجزائر، 1977.
- 53 (————): بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2003م.
- 54 (————): تاريخ الجزائر الثقافي (1500 .1830م)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، ج3، ج4، ج5، ج6، ج9، 1998.
- 55 (————): خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير، 1830/1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2007م.
- 56 (————): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1892.
- 57 (————): محمد الشاذلي القسنطيني (1807.1877)، الجزائر، 1974.
- 58 للسعدي غازي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، القاهرة، دار الجليل للنشر، 1994.
- 59 سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني) ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4، 1984م.
- 60 (————): الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، الجزائر، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2000.
- 61 (————): : النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 .1930م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1985م.
- 62 (————): : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر " الفترة الحديثة والمعاصرة" ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2.
- 63 شنوف عيسى: يهود الجزائر"2000سنة من الوجود"، الجزائر، دار المعرفة.

- 64 شهبي عبد العزيز: الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، وهران، دار الغرب.
- 65 الشيخ أبو عمران: قضايا في الثقافة والتاريخ، الجزائر، منشورات تالة، ط3، 2007.
- 66 الطهطاوي محمد عزت: في مقارنة الأديان النصرانية والإسلام.
- 67 عبد الرحمان بشير: اليهود في المغرب العربي (22هـ . 462هـ)، عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001م.
- 68 العسلي بسام: الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائري ة، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- 69 (—): محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية، بيروت، دار النفائس، 2010م.
- 70 العقاد صلاح: محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.
- 71 عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر، دار المعرفة، ج2.
- 72 (—): موجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، دار ربحانه، ط1، 2002، ص109.
- 73 فركوس صالح: إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844_1871)، عنابة، منشورات باجي مختار، 2006.
- 74 (—): المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، (814 ق م، 1962)، عنابة، دار العلوم، 2003م.
- 75 (—): تاريخ الجزائر مما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، الجزائر، دار القافلة، ط1.
- 76 فويال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، الجزائر، دار المعرفة، 2010م.
- 77 خيلالي طاهر مختار: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة، دار الفن.
- 78 قطب محمد علي: من أبطال الفتح الإسلامي ، مصر، دار الدعوة الإسلامية، ط 1، 2016.

- 79 تمان جمال: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
- 80 (—): نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830_1914)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- 81 محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، دار الفكر.
- 82 المدري توفيق أحمد: كتاب الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963.
- 83 (—): هذه هي الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 2001.
- 84 مزاري الحاج: الهامل، بلوزداد ، المطبعة العصرية، الجزائر، 1993.
- 85 مزيان سعدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها(1871_1914م)، دار سيدي الخير للكتاب، ج2.
- 86 (—): النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر(1867_1892)، الجزائر، ط1، 2009.
- 87 المسيري عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، القاهرة، دار الشروق، ط1، ج3، 1999.
- 88 معوشي أمال : يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830 - 1870)، دار الإرشاد، 2013.
- 89 مفتاح عبد الباقي : أضواء على الشيخ الجيلالي وانتشار طريقته ، عين ملية، دار الهدى، الجزائر، 2008م.
- 90 مناصرية يوسف: النشاط الصهيوني في الجزائر بين (1897_1962م)، الجزائر، دار البصائر، ط1، 2009.
- 91 مؤيد صلاح: الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها ، بيروت، دار البراق، 2002م.
- 92 المليي بن محمد مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تق: محمد المليي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1.
- 93 نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، قسنطينة، مطبعة البعث، ط2، 1965.

- 94 هلال عامر : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر العاصرة (1830_1962م)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- 95 (—): الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء ، الجزائر، 1988.
- 96 وعلي محمد الطاهر : التعليم التبشيري في الجزائر من (1830_1904) "دراسة تاريخية تحليلية"، الجزائر، منشورات دحلب، 2009.
- 97 سيلمي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920.1945)، تيزي وزو، الأمل، ط2، 2012.
- ب_ باللغة الأجنبية:

- 1- Belkherroub Abdelmadjd: **La naissance et la reconnaissance de la republique algérienne, alger**, édition, ENAG, 2008.
- 2- Mahfoud kaddache: **Algérie des Algériens de la préhistoire a 1954**, Edition mediterrane, paris.
- 3- Pensa Henri: **Algérie, organisation politique et administrative justice sécurité instruction publique travaux publics**, paris, 1894.

ثالثا/الصحف والدوريات:

أ_ باللغة العربية:

- 1 ابن نعمان أحمد: «الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية»، مجلة الأصالة، عدد (86/85)، 1980.
- 2 جورعدة رمضان: «جوانب من تطور السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة (1830/1892م)»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قالمة، الجزائر، ع4.
- 3 -البوعبدلي المهدي: «الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي»، مجلة الأصالة، ع8، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.
- 4 حفاف فضيلة: «السياسة الدينية الفرنسية بالجزائر مع بداية الاحتلال على عهد الدوق دي روفيكو (1831_1833)»، مجلة قضايا تاريخية ، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، بوزريعة، الجزائر، ع2، جوان 2016.
- 5 خليفي عبد القادر : «سياسة التنصير في الجزائر»، مجلة المصادر ، ع9، وهران، مارس 2006.

- 6 سيد صالح محمد: «المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر) أواخر العصر التركي»،
مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مج4، ع7.
- 7 العربي إسماعيل: « دور يهود بن دوران في دبلوماسية الأمير عبد القادر»،
المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع 16 / 17 / 18، 1980.
- 8 فيطس عبد القادر: « ظاهرة الوعدة الشعبية في الجزائر بين الاعتقاد والممارسة»،
مجلة الثقافة الشعبية، ع17، السنة الخامسة، 2012.
- 9 لوصيف فوزية: «الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح
والتجديد»، قسنطينة، قسم العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر.
- 10 (—): «تطور الخارطة الدينية بالشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية»، جامعة
الأمير عبد القادر، قسم العلوم الإسلامية، قسنطينة.
- 11 مسدور فارس: «الأوقاف الجزائرية بين الاستثمار والاندثار» ، كلية الاقتصاد، جامعة
سعد دحلب، البليدة.
- ب_ باللغة الأجنبية:
- 1- Kamel Kateb: Les séparation scolaires dans l'Algérie coloniale,Revue algérienne
d'anthropologie et de sciences sociales, L'Algérie avant et après1954, 2004.
<https://insaniyat.revues.org/6242>.
- رابعاً/المذكرات والرسائل الجامعية:
- 1 آيت سعيد نبيلة: التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة ،
مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009.
- 2 بلعجال نجاة: الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518 -
1830م دراسة في الاحتفالات الشعبية والدينية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2014.
- 3 بن الزاوي طارق: استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية (406 هـ - 1016 م
/454 هـ- 1069 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009.
- 4 بن تركي نسيمة: أحكام الوقف في التشريع الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم
الحقوق، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.

- 5 بين شوش محمد: التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830.1870م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ومعاصر، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007م.
- 6 بين مصباح فاطمة: إدارة الأوقاف في الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015.
- 7 جوغدادة الأميرة: المؤسسات في الجزائر في أواخر العهد العثماني "القضاء نموذجا"، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008.
- 8 حساني عثمان : البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2007، ص 27.
- 9 حليس صباح :النظام القانوني للاستثمار الأملاك الوقفية العقارية في التشريع الجزائري ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم الحقوق، جامعة الشهيد حمة لخصر، الوادي، 2015.
- 10 حنفوق إسماعيل: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1884.1931م)، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010م.
- 11 خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور (1850_1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسنطينة، 2008.
- 12 زاهي محمد: الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (1830 _1870)، مذكرة لنيل رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2015.
- 13 زقب عثمان : السياسة الفرنسية في الجزائر " 1830_1919" (دراسة في أساليب السياسة الادارية) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015.

- 14 سقاي نوال ، يوسف عشيرة شريفة : الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة التعليم الأساسي في التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية ببوزريعة، الجزائر، 2008م.
- 15 شافو رضوان : الجنوب الشرقي لجزائر خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا (1844_1962)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه هعلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، بوزريعة، جامعة الجزائر، 2012.
- 16 شويتم أرزقي: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519 - 1830م، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006.
- 17 صديقي عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية "دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2014.
- 18 طيار ليلى : النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري 1868_1898"منطقة القبائل نموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013.
- 19 عباسي أمينة: السياسة الفرنسية تجاه يهود الجزائر ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قطب شتمة محمد خيضر، بسكرة، 2014.
- 20 عوادي أسماء : قانون كريميو 24 أكتوبر 1870م وردود الفعل المختلفة ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة حمه لخضر الوادي، الوادي، 2016.
- 21 قبايلي هواري: مسألة الحج في الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1894_1962)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014.
- 22 قرواز فتحية: الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2012.
- 23 كركار عبد القادر: الطائفة اليهودية في الجزائر (1830.1900م) التجنيس وردود الفعل، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2008.

- 24 لخذاري رجاء: السياسة التعليمية الفرنسية الاستعمارية في الجزائر ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013.
- 25 وعلي محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904م) (دراسة تاريخية تحليلية، مذكرة رسالة ماجستير في علوم التربية، جامعة الجزائر، الجزائر.
- 26 ولد آن محمد الأمين: النصارى واليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين 422هـ-539هـ-1030م-1141م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، وهران، جامعة وهران، 2013.
- خامسا/المعاجم:

1_ انس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، ط 2، 1973.

سادسا/الموقع الإلكتروني:

- 1_ تراري مختارية: التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر، في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات ، ع14/15، 2001م، ص57،66. الموقع <http://insaniyat.revues.org/9664> ; DOI : 10.4000/insaniyat.9664
- 2_ الحسني محمد قاسمي عبد الرؤوف: التطور التاريخي والتشريعي لنظام الوقف(نموذج الاقتصاد الوطني)»، 2007، ص9. موقع الالكتروني.
- <http://dSPACE.CREAD.DZ:8080/bitstream/CREAD/65/1/7> يوم 2017/04/17.
- 3_ السعيد بلقاسم: «موسى بن الحسن الدرقاوي حارب الأمير و الفرنسيين»، جريدة الجلفة أنفو، 2007. الموقع الإلكتروني www.djelfa.info يوم 2017/4/02 على الساعة 10:33.
- 4_ موقع الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية - مصر / URL : <http://St-Takla.org> يوم الثلاثاء 14 /04 /2017 على الساعة 10:00.
- 21- Pierre Jean :« Message apporté le demanche». الموقع الالكتروني www.Apw.org يوم 04/2027 .

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	البسمة
	شكر وعرهان
	قائمة المختصرات الواردة في البحث
5	المقدمة
11	المدخل: الأوضاع الدينية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي
الفصل الأول: الطوائف والمؤسسات الدينية	
22	المبحث الأول: الطوائف الدينية النشأة والتواجد
22	أولا/ الطائفة اليهودية
27	ثانيا/ الطائفة المسيحية
30	ثالثا/ الطائفة المسلمة
34	المبحث الثاني: المؤسسات الدينية
34	أولا/ المؤسسات الوقفية
39	ثانيا/ المساجد والكتاتيب القرانية
43	ثالثا/ الزوايا والطرق الصوفية
50	خلاصة الفصل
الفصل الثاني: مظاهر الحياة الدينية	
52	المبحث الأول: العبادات والشعائر الدينية
52	أولا/ الشعائر الدينية الإسلامية
56	ثانيا/ الممارسات الدينية اليهودية
59	ثالثا/ الشعائر الدينية المسيحية
61	المبحث الثاني: القضاء الإسلامي والتعليم الديني
61	أولا/ القضاء الإسلامي
68	ثانيا/ التعليم الديني

77	المبحث الثالث: علاقة المسلمين بالطوائف الغير إسلامية
78	أولا/علاقة المسلمين باليهود
80	ثانيا/علاقة المسلمين بالمسيحيين
81	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: السياسة الاستعمارية وانعكاساتها على الحياة الدينية	
84	المبحث الأول: أساليب السياسة التنصيرية
85	1_ المنصرون
86	2_ الأعمال الخيرية
87	3_ تنصير الأطفال اليتامى
87	4_ استعمال التطبيب كوسيلة للتنصير
88	5_ التعليم التنصيري
88	6_ تكثيف نشاط الإرساليات الدينية المسيحية
91	المبحث الثاني: رد فعل الجزائريين ضد سياسة التنصير
91	أولا/رد فعل الأعيان
92	ثانيا/رد فعل الشعب الجزائري من التنصير والمنتصرين الجزائريين
98	ثالثا/رد فعل الزوايا الدينية من التنصير
101	المبحث الثالث: المضايقات الفرنسية للنشاطات الدينية
101	أولا/الاستيلاء على الأملاك الوقفية
103	ثانيا/الاستيلاء على المساجد
106	ثالثا/التضييق على الزوايا الدينية
109	خلاصة الفصل
111	الخاتمة
114	الملاحق
125	قائمة المصادر والمراجع
138	فهرس الموضوعات